أنور زعلوك

مايو يا حبيبي

مايو.. ياحبيبى

الطبعة الأولى
نوفمبر ١٩٧٤

● الغلاف والرسوم الداخلية : الفنان ناجى كامل

● الاعداد الفنى . اداره الصحافه والنشر

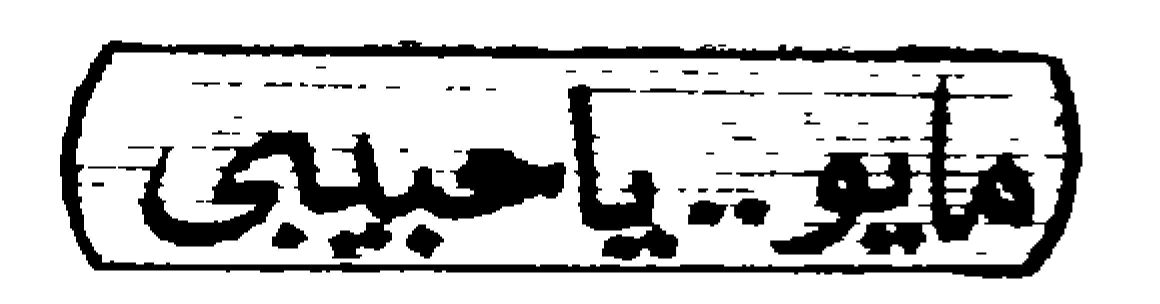
● الناشر : مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
٩٢ شارع قصر العينى بالقاهره تليفون ٢١٨١٠

رئيس مجلس الادارة
أحمد ابراهيم حروش

مايو يا حبيبي

أنور علوان







هذه ... « مجموعة قصصية » ..
تخضــع لأصــول الفن القصصى ..

وليست هذه ...

« مجموعة روايات » .. تلتزم بقواعد الخط الدرامى
لكنها .. مجرد « صور » حية .. مجرد « تابلوهات »
مكتوبة بقلم عاش قمة المأساة الدامية ...

وهــــذا القلم ... لا يهــدف الى نبش المــاضى ...
انما يكشف لكل العيون صورا حية .. لما حدث ...
حتى يســأل كل واحــد منا .. نفســه ..

أين كنا .. عنــدما حــدث هــذا ... ؟؟

فكلنا مسئولون .. عما حــدث .. وعما سيحدث ..

وحتى .. لا يتــكرر ما حــــدث مســــتقبلا ..

ولن يتـــكرر ... أبـــدا ما حـــــدث ....

لأن عقـــارب الســـاعة لن تعـــود الى الوراء ....

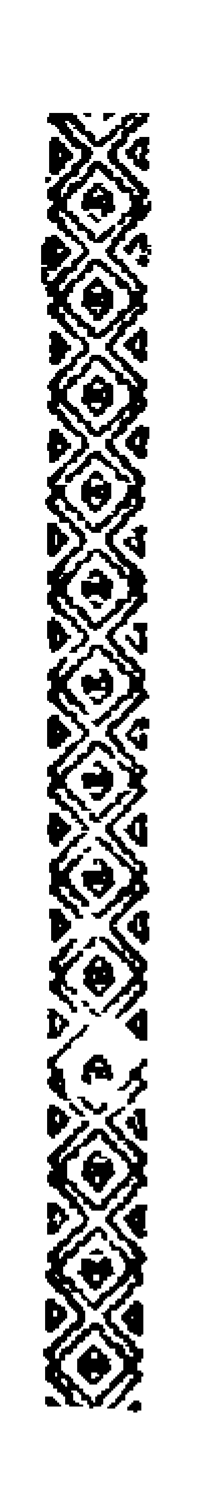
● كلمة لا بد منها :



لم ((يعبر)) الجنــــدى العربى .. الى ((سيناء)) الحبيبة .. فوق ((معابر)) من الحديد .. صنعها ((سلاح المهندسين)) ...

انمــا ((عبر)) فوق ((معابر)) نابضــة بالحياة ... اسمها

- ● حرية .. الانســـــان ...
- ● كرامة .. الانســـان ...
- ● ســيــادة القــانون ... تظلل ســماء مصر ... !!!



كلمة لابد منها

حقيقة . . لم تعد تقبل الجدل . . .

ان ما أصاب « وطننا العربي الكبير » من « كوارث » . . وتمزق . . . وعفن : : : وهزائم . . . إنما يعود إلى . . .

« اختفاء » . . الإنسان . . .

« غياب» . . القانون . . .

« سجن » . . الحرية . . .

والحرية : . قد « تمرض » . . . قد « تنتكس » . . . ولكنها « لاتموت» : : أبدا . . .

وفى فترات الحرية « المسجونة » : : فى بعض أجزاء من الوطن العربى : . غربت الشمس :: وعم الظلام :: وأحالت الخفافيش « حياتنا :: إلى « سجن كبير» : : : إلى « غابة مليئة » بالوحوش والأفاعى » . . . خداع : : ارهاب « حرب» تجويع : : أزمات : : « نهب» لثروات البلاد . . دون حسيب أورقيب عبث بمقدرات العباد : : « وذئاب» تنهش الأجساد . . والأرواح : : على

« أنغام » « موسيقي مجنونة » . . في « محافل التعذيب» . . وقروض ضخمة « « تبدد » في « مغامرات» . . ومعارك « وهمية » . . . وغلاء « مسعور » يترنح تحت ضرباته المتوالية شعب « صابر» مسكين . . . وثراء « وترف» خيالي تستمتع به .. فئة المتفعين « بالقلق » والأزمات « والظلام » . . . وتعهير لكل . . ما هو « مقدس » . . ونبيل . . .

والويل . . كل الويل . . . لمن يقول . . . : لا : . .

فزوار الفجر . . ينتزعونه . . .

بعد أن يحيلوا بيته . . إلى « مدينة مهزومة » . . اقتحمها جيش من « الغزاة » . . « تعذيب» . . « واعترافات » مزورة وتحقيقات « مطبوخة » . . . وقانون صوري يحمي « الجلادين » . . . ويحرم « الضحية » . . من حق « الطعن » في أي اجراء « بربري» ومحاكمات « استثنائية » ظالمة . . . وأحكام « فاجرة » . . . بالإعدام . . أو الأشغال الشاقة . . « وجوع » لأطفاله . . وزوجته . . « وحرمان » من المرتب . . أو المعاش . . وتشويه للشرفاء والأحرار الذين « يرفضون » أن « يبيعوا ضمائرهم « للشيطان » . . . « وكلاب » مسعورة دربت بمهارة على « حرق البخور» لكل مستبد وطاغية . . . « وتضليل » للرأى العام . . « تسوّد » الصفحات . . وتهم الضحية « بالخيانة » . . « والتآمر » . . . « ومعاداة مصالح الشعب » . . وتتغنى « بعدالة » . . وإنسانية » . . ورحمة الطغاة . . لأن « عدالتهم » . . وإنسانيتهم « ورحمتهم » . . . منعتهم . . من أن ينصبوا « المشانق » في الشوارع والميادين . . لكل الذين يقولون : : : « لا . . .

فيعرقلون بذلك « الخط الثورى العظيم » الذى يهدف . . « سعادة » « ورخاء » الشعب . . . !!

والشعب : : أى شعب . . . من كل هذا . . براء . .

وحينما تولى « أنور السادات» مسئولية قيادة . . مصر . . . « ومصر» شئنا أو لم نشأ : : « قلب» الوطن العربى الكبير : . وهذا هو قدرها . .

وما يحدث فى « القلب» . . . يؤثر بطريق مباشر . . وغير مباشر فى سائر أجزاء « الجسم » . . .

ادرك « بحاسته » « الإنسانية » . . وبخبرته الطويلة فى « الكفاح الوطنى » : : : ان الخوف والإرهاب . . والفوضى . . هو سر هزيمتنا . .

وان التمزق . . الذى « فرض » على الوطن العربى . . أحد عوامل « مأساتنا الكبرى » : : : وإن استخدام الجيش . . . فى غير « الدفاع عن الوطن » : : : هو سبب كارثتنا « الفادحة » : . .

وكان لابد : : أن يخوض فى اصرار . . معركة « التصحيح » . . .

كان لابد : : من « ١٥ مايو» ١٩٧١ . . .

وكان لابد : : أن تتحول مبادىء « ١٥ مايو» . . إلى « حقيقة » عملية فى حياة الشعب . .

سيادة القانون . . حتى يتحرر الإنسان من الخوف . .
وحتى يعيش . . آمناً على ماله . . وعرضه . . ومستقبله . .
وقوت صغاره . .

اغلاق « المعتقلات السياسية » . . وإلى الأبد . . . كمظهر
من مظاهر « غياب القانون » . . . « والإجراءات الاستثنائية »

اعادة قضاة مصر الذين أبعدوا عن مناصبهم . . « لتسترد » . .
العدالة مكانتها . . وقداستها . . .

وضع حد . . ونهاية سريعة لمهازل « الحراسات » الانتقامية

الإفراج عن الغالبية العظمى من « المسجونين السياسيين » . .
ضحايا « مراكز القوى » . . . والحاكم القوى . . يرفض

أن يكون « عملاقاً » فى شعب من « الأقزام » والعبيد . .
المقيدين بالسلاسل والأغلال . .

اصدار قانون « الحريات العامة » . . وضمان « الحريات
السياسية » . . لأنه حتى « لقمة العيش » تظل مهددة بالضياع . .
بدون ضمان « الحريات السياسية » . .

الجندى . . أصبح دوره . . هو « الدفاع عن الوطن » . .
وتحرير « الأرض » . . تحت شعار . . « النصر » أو « الاستشهاد »

اعادة الدور « التاريخى » والحضارى « لمصر » . . « كقلب »
للوطن العربى « يصون » الوطن . . « ويوحده » . . لايمزقه . .
أو يبدده . . ارضاء لنزعات « مجنونة » . .

وفى ٦ أكتوبر . . .

وفى ١٠ رمضان . . .

انطلقت « الشرارة » . عربية « مائة فى المائة » . . « وعبر » الإنسان . . حاجز الخوف . . واسترد الجندى شرفه . . ووقفت الأمة العربية كلها . . وقفة رجل واحد تشارك فى معركة التحرير . .

لم يكن « ٦ أكتوبر » . . . مجرد معركة عسكرية . . انتصر فيها الجندى العربى . . .

إنما كان « معركة » الإنسان . . الذى « تحرر » من بعض مظاهر « الخوف » . . « والظلم » . . فأعطى أروع الأمثلة فى البطولة « والتضحية » والفداء . . . وأثبت أنه مستعد لأن يحقق أكثر من « المعجزات » . . كلما عاش فى ظل ظروف . . « عادلة » « وسعيدة » . . وآمنة » . .

لم يعبر الجندى العربى . . إلى « سيناء » الحبيبة . . فوق
« معابر » من الحديد . . صنعها « سلاح المهندسين » . . إنما
« عبر » فوق « معابر » . . نابضة بالحياة . . اسمها . . .

« حرية » الإنسان . .

« كرامة » الإنسان . . .

« سيادة القانون » . . . تظلل سماء مصر . . .

إن هذه المبادىء التى « حققت » لشعبنا المعجزات . . لا « تراجع » عنها . .

وان الشعب . . . الذى قدم « أغلى » التضحيات . . من أجل « حماية » وتدعيم هذه المبادىء . . . « سيفضح » . . . هؤلاء الذين « يحترفون » . . الخداع . والتضليل . . والعمل فى خدمة . . أى مستبد . . وأى طاغية . . طالما « يدفع الثمن » وشعبنا العربى . . يعرفهم جيداً . .

هؤلاء الذين . . « أفزعتهم » . . رياح « الحرية » والعدالة . . والنصر والانفتاح . . فراحوا « يشككون » فى كل شىء . . ويذرفون الدموع . . « دموع التماسيح » خوفاً على « الثورة » . . « والاشتراكية » . . « والقطاع العام » . .

وكأن « الثورة » هى الإرهاب والسجون والتعذيب . . .

وكأن « الاشتراكية » . . هى « تهليب » . . مكاسب الشعب . . .

وكأن « القطاع العام » هو « عزب » . . و « ضياع » . . ورثوها عن آبائهم وأجدادهم . . فلما « صححت » الثورة . . مسارها . . . لتعود ثورة من أجل الحرية والعدالة والديمقراطية وسيادة القانون . . والرخاء . .

راحوا « يتباكون » . . . وينفثون السموم . .

وسيبكون دائماً . . فقد عاشوا سنوات . . وسنوات . . يثرون « ثراءا » فاحشاً من « تجارة » القلق والإرهاب . . .

وسيبكون دائماً . . لأن رياح الحرية « تخنقهم » . . ونور « العدالة » يعميهم » ورخاء الانفتاح . . « يحرمهم » من كسب حرام » . . فى السوق السوداء

« عبيد » الأمس : : عبيد كل « زمان » : : : ومكان : : :

يرتدون اليوم : : زى « أبطال » الدفاع عن « الثورة » : . « والاشتراكية والقطاع العام » : : « ومكاسب الشعب » . .

والشعب : : كل الشعب . . :

من أحقادهم : : براء . . .



● شاء قدرى ان اعيش :

حـيرتهم .. قلقهم .. أناتـهم .. ضـعفهم .. قوتهم .. استسـلامهم ...

صمودهم .. آمالهم .. سخريتهم .. ياسهم .. عذاباتهم ....

« نبضـات » .. قلوبهم المرتجفـة .. « يخفق » لها « قلبى » ...

« السـياط » التى « يجلـدون » بهـا .. تلهب « ظهرى » .. وتدمى « جسدى » ....

« دموعهم » الساخنة الحارة .. « تسـيل » من « عينى » ...

« سخريتهم » .. تتحول الى « ضحكات » صامتة .. « باهتة » فوق « شفتى » ...

« ابتهـالاتهم » .. وهم يتطلعون الى السـماء فى ضراعة .. « تهز » « أعمـاقى » « وروحى » ...

« آمالهم » .. ترسم .. بلون الزهور .. والورد ... شحوب « وجهى » ●



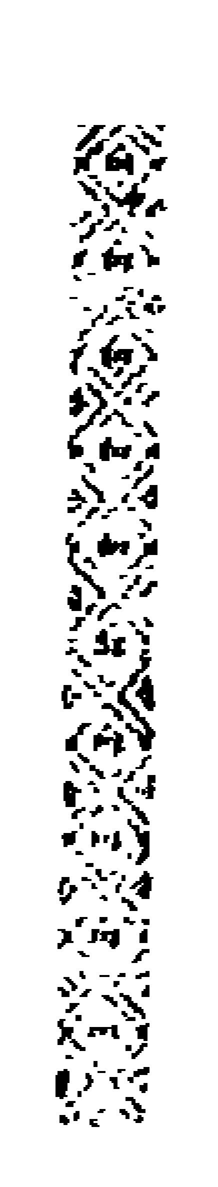
● أين كنتم ؟ ●



أين كنتم ..؟



● هذا الرجل ... يختلف عن بقيـة الناس جميعا ..
فهو لم يولد .. كبقية خلق الله .. مثلنا جميعا ..
بعينين اثنتين ... وباذنيين اثنين ...
انما يختلف ... تماما عن بقية خلق الله جميعا ...
له .. آلاف « العيون » .. بل عشرات الألوف من « العيون » ..
وله أيضـا .. آلاف « الآذان » .. بل عشرات الألوف من « الآذان » ..
ترصد ... حتى « خفقات » القلوب ..
وتتسمع .. حتى « دبيب » النمل .. ●





اين كنتم ..؟

كانت . . هذه . . هى . . المرة الأولى : : فى حياتها . . التى ترى فيها . . مثل هذه «المكتب» الفاخر . . ومثل هذا «الرجل» . . الذى ينضح . . بالأبوة . . . والطيبة . . والوقار . . . والذكاء . . .

كانت تفرك . . يديها . . وهى تنظر . . إلى « الرجل » . . وهو يتحدث فى ثقة . . وهدوء . . . ويطلب لها . . بعض المرطبات . . فى أبوة . . . وحنان ،

ويكلمها عن كليتها . . . والعلاقات . . بين الشبان . . والبنات . :

ورأيك . . . الشخص . . فى مثل هذه العلاقات . البريئة . . . ؟ ؟

كان « الرجل » متحرراً . . إلى أقصى حدود . . التحرر . . . فهو يؤيد الحب . . بين الفتيات . . والشبان . . .

وأين أنت . . . يا أبى . . . لكى تسمع . . هذا الكلام الحلو . . . من هذا الرجل . . العظيم . . المسئول . . ؟ ؟

وكانت تستمع إليه . . وهى تسرح بخيالها فى « مجد » زميلها فى الكلية : : : وقصة الحب . . الجميلة التى تعيشها معه منذ رحلة الكلية الأخيرة . إلى حدائق القناطر الخيرية : . . والتى ضحكت فيها من أعماقها : : كما لم تضحك من

قبل . . وشاركت زملاءها . . وزميلاتها . . . فى اللهو . . والمرح . . والقفشات والنكات البريئة . . .

والتى « اعترف» لها . . فيها . . « مجد » بحبه . . . عندما جلسا . . سوياً يستريحان . . فى ظل شجرة . . كبيرة . . من أشجار التوت . . التى تمتلىء بها الحدائق . . . بعد أن . . انهكهما . . الجرى . . واللعب . . . والمرح . . .

أصبحت هذه الرحلة . . تمثل . . ميلاداً جديداً . . . أعاد . . لها حيويتها ورسم ابتسامة شفتيها . . باشراقه . . عذبة . . وصبغ . . . عينيها العسليتين الصافيتين بنظرات . . . متفائلة . . ضاحكة . . . سعيدة . . .

كان « الرجل » يتحدث فى كل شيء . . . ويستكشف كل شيء . . .

سألها عن أحوالها العائلية . . . فحدثته عن أسرتها . . . وكيف أن أباها . . يرفض دائماً التفاهم وأنه أحال البيت . . إلى جحيم خاصة . . بعد أن بلغ سن الإحالة . . إلى المعاش . . . وأنه . . لايعترف . . بشيء . . اسمه العاطفة . . أو . . الحب . . أو الزمالة . . أوالصداقة بين الولد . . والبنت . . .

وأن أمها تشارك أباها . . . نفس أفكاره . . . لأنها . . حرمت منذ طفولتها من الحب . . . لم تذق طعمه أو حلاوته . . . فقد زوجوها له . . . بعد أن فقدت والديها . . . وهى تصغره . . بأكثر من خمس وعشرين سنة . . .

زوجوها له . . . فحرمت من همسات الحب . . . وارتعاشات الحنين . . . وانحصرت حياتها الزوجية . . فى خدمة الأب . . . الذى لايستطيع أحد أن يؤكد هل هى تحبه . . . ؟ . . أم هى تكرهه . . . ؟ فهى . . . فى الواقع . . . لاتحبه . . . ولاتكرهه . . . إنه « قسمتها » . . و« نصيبها » « وقدرها » . . .

وهى تهوى نظافة البيت . . . واعداد الأكلات « المسبكة » . . التى يفضلها رب البيت . . .

والاشتراك المستمر . . . فى « سباق » الأرانب . . . . وانجاب عشرة أطفال مات منهم خمسة . . وبقي . . . لها . . . أربعة أولاد . . . وبنت واحدة . . . هى . . « أنا » .

وسألها الرجل عن علاقاتها فى الكلية . . .

« فأخبرته . . ان جميع طالبات وطلبة الكلية . . يحبونها . . ويثقون بها . . .

ويعجبون بنشاطها الاجتماعى والثقافى . . . وحيويتها . . . . وتعاونها مع كل الزملاء . . . .

وإنها . . « كاتمة أسرار » . . لغالبية زميلاتها . . . . وكم ساهمت فى حل كثير من مشكلاتهن العاطفية . . والإنسانية . . .

وان الأستاذ عميد الكلية . . . . قال عنها . . . . عندما . . . رشحتها الكلية « الطالبة المثالية » !

. . أنها نموذج . . رائع . . للزمالة . . والتعاون . . والتفوق . . والخلق . . . الجامعى . . .

وأخيراً . . . .

سألها عن « مجد » .

فوجئت بسؤاله عن « مجد » . .

كيف . . عرف علاقتها . . . به . . . . ؟

ومن الذى . . أخبره . . . . ؟

إن علاقتها بـ « مجد » . . لايعرفها أحد من زملائها طلبة الكلية .

فهى . . و « مجد » يحرصان على ألا تتسرب أخبار هذه العلاقة . . إلى البيت . . الذى يعتبر العلاقة بين « الولد » والبنت « جريمة » من أخطر الجرائم . . . .

وهى تتكتم علاقتها بـ « مجد » حتى لايصاب حبهما الرائع بالحسد . . .

فحى . . شقيقها الأكبر . . . الطالب بالسنة النهائية بكلية الحقوق . . والذى يتمتع . . . باحترام . . . وصلات طيبة . . بكثير من طلبة الكلية . . .

حتى هذا الأخ الأكبر . . . رغم ما بينه وبينها من صداقة . . وتفاهم . . وإعجاب متبادل . . . حرصت على ألا يعرف شيئاً عن علاقتها بمجد . فهى ترى أن حبها الرائع . . لازال طفلا جميلا . . حديث الولادة . . . وهى « كأم » . . لهذا الطفل الجميل . . . تخشى عليه حسد الناس . . . كل الناس . . حتى من أخيها الأكبر . . . رغم نضجه . . . ورغم ما بينهما من صداقة . . وتفاهم . . وإعجاب ويوم . . . يكبر . . . طفلها . . . حبها . . . ويصبح . . . شاباً يافعاً قوياً . . . وقد اكتسب مناعة ضد الحسد . . ستزف بنفسها بشرى حبها . . . إلى الناس كل الناس . . .

ولكن . . .

كيف عرف الرجل بعلاقتها به . . . ؟

لازال السؤال يحيرها . . .

فهى . . فى الكلية . . . تتعامل مع مجد بصورة طبيعية . . تماماً . . كما تتعامل مع أى زميل . . أو . . زميله .

ويتقابلان . . معاً . . فى مواعيد ثابتة . . محددة . . . فى مكان « ما » . . . لايخطر على بال أحد .

وإذا مادعت الضرورة إلى لقاء عاجل . . . فى غير المواعيد الثابتة المحددة . . .

فان « مجد » يذهب إلى الكلية مرتدياً « كرافتة معينة . . . »

وتعرف . . . أنه يريدها (اليوم) . . لأمر هام . .

أو أن الشوق يعذبه . . . ولا يحتمل الانتظار . . . حتى يحين الموعد الثابت المحدد : : فتذهب هي إليه : : : في المكان ال « ما » . . والذى لا يخطر على بال . . . أحد : : لتجده : : : في انتظارها . . .

وإذا كانت هي التي تطلب اللقاء في غير الأوقات الثابتة المحددة فانها تضع وردة حمراء في صدر فستانها : . أوجاكتتها : : أو بلوزتها . .

ويفهم أنها تريده « اليوم » لأمر هام . : . أو أن الحنين إليه يعذبها . . ولا تحتمل الانتظار : : حتى يحين الموعد . . الثابت . . المحدد .

فيذهب هو : : : إليها . . . في المكان ال « ما » . . والذى . . لا يخطر على بال : : أحد . .

ليجدها . . . في انتظاره . . .

إذا . . .

كيف عرف بعلاقتها به . . . ؟ . . . ومن الذى أخبره . . ؟

وتصورت أن علاقتها بـ « مجد » أصبحت معروفة للجميع — رغم كل محاولات التغطية — مادام هذا « الرجل » العظيم المسئول : : . قد عرف : : وهو جالس . : في مكتبه .

لابد أن عيونهما . . قد فضحتهما . . . تمشياً . . مع النظرية القائلة أن : عيون المحبين تفضحهم دائماً . . مهما حاولوا . . الإنكار . . والتكتم . . والتمويه .

ولم تكن تدرى . . .
ان هذا الرجل العظيم المسئول . . . يختلف عن بقية . .
الناس جميعاً . .

فهو لم يولد . . كبقية « خلق » الله : : مثلنا جميعاً . . .
بعينين . اثنين . . وبأذنين . . اثنين . .
إنما هو يختلف . . تماماً عن بقية خلق الله جميعاً .
له . . . آلاف « العيون » . . . بل عشرات الألوف : : من
« العيون » . . .
وله أيضاً . . . آلاف « الاذان » . . . بل عشرات الألوف .
من « الآذان » : : ترصد حتى . . خفقات القلوب . . .
وتسمع : : : حتى دبيب النمل . . .
وأجابت الرجل عن تساؤله عن « مجد » . . . .
ان مجد . . هو رجلها . . وأملها . . . وحبيبها .
وانه انسان طيب . ورائع . . . وانه . . . يذوب . . . رقة وحناناً .
وانه يحب بلاده . . . كثيراً . . . وفي صدق . . ويحب : : كل الناس . .
ضحكات الناس . . . ترتسم في سعادة . . فوق شفتيه . .
ودموع الآخرين . . . تسيل . . صامتة . . حزينة . . من عينيه . . .
استغرق حديثها عن « مجد » وأفكاره . . . وآرائه . . وقتاً . . غير قصير . .
وكان الرجل . . يستمع إليها . . . في انصات كامل . . . وقد ارتسمت ملامح ملامح وجهه . . بالغبطة . . وهي تحادثه .. عن « مجد » . . . عن حبيبها وأقنعها . . . أنه أصبح يحب مجد . . كما تحبه . هي . . بالضبط . . .
وآثار الرجل دهشتها . . . في نهاية المقابلة الأولى . . . عندما لم يطلب منها شيئاً . . . يبرر لها به . . . هذا الاستدعاء الخاص . . . لمقابلة هذا المسؤول « العظيم » .
كل ما أكده لها « الرجل » . . . أنه سعيد جداً بهذا اللقاء . . . وأنها تذكره بابنته الصغرى . . . التي تشبهها . . . كثيراً . . . وأعطاها . . رقم تليفون

مكتبه الخاص ، وطلب منها . . ان تتصل به . . فى أى وقت تشاء . . . فهو عادة لايغادر مكتبه على الإطلاق . . . إلا إذا ذهب إلى بيته . . أو . . . إذا ما استدعى لاجتماعات هامة مفاجئة . . .

عند باب المكتب . . أصر . . على أن يقوم بتوصيلها بنفسه . . حتى الأسانسير

وودعته . . وهى مقتنعة . . أنها وجدت فى النهاية انساناً عظيماً . . يمكنها أن تعتمد . . عليه .

ولم يمض أسبوع واحد على هذا اللقاء . . . إلا . . وهى تتصل به . . تعرض عليه مشكلتها . . فيما تتعرض له . . من عجز مادى يمنعها . . من تلبية . . احتياجاتها :

وطلب منها . . . ألا تتردد فى الحضور فوراً . . لزيارته فى المكتب . .

على وجهه . . كانت تسكن . . نفس النظرة . . الأبوية الحانية . . وهو يستقبلها . . للمرة الثانية . . ويجلس بجوارها . . على الكنبة الوثيرة . .

وخرجت من عنده . . . بعد أن سلمها مظروفاً . . بداخله . . « مائة جنيه »

ونظرت إلى أوراق البنكنوت الجديدة اللامعة . . بانبهار .

« ياه . . مائة جنيه . . حتة واحدة » ؟ !

وتكاد تطير ... من على الأرض فرحاً ... وهى تتخيل مشترواتها من الكتب والملابس وتمنى نفسها بلقاء شاعرى مع مجد فى واحد من المحلات العامة الفاخرة . التى يرتادها طبقة . . أولاد « الذوات » الجدد . . .

وليلتها . . لم يداعب النوم جفنها . . ظلت تفكر فى « المائة جنيه » . . . والملابس والكتب التى ستشتريها . . . واللقاء الشاعرى مع مجد فى أفخم المحلات ، ستدفع هى الحساب . . . لأنه سيكون ضيفها . . . وفكرت كثيراً . . فى الرجل « الكنز » الذى هبط عليها من السماء . .

* * *

فى الصباح . . . أسرعت ترتدى أحدث فساتينها . . . ووقفت فترة أطول أمام المرآة وهى « تمكيج» نفسها . . . وتسوى خصلات شعرها . . . واتجهت نحو دولاب الملابس . . . وفتحته . . . وأخرجت وردتها الحمراء . . .

وعادت مرة ثانية إلى مرآتها . . . تلقى نظرة أخيرة على زينتها . . . وبينما هى تشبك الوردة الحمراء . . . فى صدر فستانها كانت تهدى الجميع تحياتها .

. . . سعيدة يابابا . . .

. . . سعيدة ياماما . . .

ولم تنتظر لتسمع ردهما على تحيتها . . . قفزت إلى الشارع . . . وألقت بنفسها فى أول تاكسى . .

كلية الطب . . يا أوسطى . . .

لم يكن هذا اليوم . . . من الأيام الثابتة . . المحددة . . . للقائها « بمجد » ولهذا زينت صدرها بالوردة الحمراء . . . حتى يفهم مجد . . أنها تريده اليوم لأمر عاجل . . .

ورأى مجد الوردة الحمراء . . تزين صدرها . . .

ترى . . . هل . . . تريده . . لأمر هام . . . وعاجل ؟ !

أم أن الشوق . . والحنين إليه . . يعذبها . . . ولاتحتمل الانتظار . . ؟!

وأسرعت . . إلى المكان « الما » . . والذى . . لايخطر على بال . . أحد . .

لتجد . . مجد . . فى انتظارها على أحر من الجمر . . .

• • •

وخلال اللقاء الشاعرى . . . مع مجد . . . والذى دعته إليه . . . وجدت نفسها تكذب ــ للمرة الأولى ــ على حبيبها .

سألها عن سر « الكرم المفاجىء » . . وهذه الدعوة « السخية » . . . فأخبرته أنها كانت مشتركة فى « جمعية » . . وجاء دورها . . « قبضت » أمس « الجمعية » ، لتشترى منها احتياجاتها . . من الكتب والملابس . . . وتدعوه . . . إلى هذا اللقاء الشاعرى . . .

وساد الصمت بينهما . . .

وسألت نفسها عن سبب كذبها على « مجد » ؟

ولماذا . . لم تقل له . . الحقيقة . . كل الحقيقة ؟ ؟

وهل هناك . . ما يشين . . فى مسلكها حتى تخفيه . . ؟ ؟

إن « الرجل » . . يعاملها . . فى أبوة وطيبة . . وحنان . . . وهو يعطف عليها لأنها تشبه ابنته الصغرى . . . كما قال لها . . .

ثم هو . . . لم يطلب منها شيئاً . . . مقابل عطفه عليها . . . ومقابل المائة جنيه . . . ومع ذلك . . لازالت . . لم تستطع . . أن . . . تفسر . . أو تعرف سر استدعائها المفاجىء . . . هى بالذات . . . لمقابلة هذا الرجل المسئول العظيم وحسمت النقاش الدائر ...... فى رأسها ....

أنها على أية حال . . كذبة بيضاء

وان مجد . . لو عرفها مستقبلا . . . لغفرها لها . . لأنها لاتخفى عنه شيئاً . . .

* * *

فى اليوم الثانى

ومن باب المجاملة . . والذوق . . .

اتصلت تليفونياً بالرجل . . . تسأله عن « الصحة » . . . « والأحوال » وتخبره . . أنها اشترت كافة احتياجاتها من كتب وملابس . . ولم تشأ أن تخبره . . أنها دعت حبيبها « مجد » إلى لقاء شاعرى فى واحد من المحلات الفاخرة . . . وأنها كذبت عليه عندما سألها . . عن سر هذا الكرم المفاجىء . . .

وتخبره أيضاً . . . من باب المجاملة . . والذوق . . أنها تتمنى أن يأتى سريعاً . . ذلك اليوم الذى تستطيع فيه : : : أن ترد للرجل : : بعضاً من « أفضاله » الأبوية . : والإنسانية : : عليها .

ولم ينه الرجل : : : المحادثة التليفونية . . قبل أن يطلب منها . . . أن تمر عليه بعد يومين : : : بعد انتهاء المحاضرات فى الكلية .

* * *

بعد . . يومين . . اثنين . . .

كانت تجلس : : أمام مكتب الرجل . . ترتدى فستاناً . : أبيضاً . . ملائكياً وتلوح على وجهها : : علامات الارتياح . . وهى تشرب الكوكاكولا . . المثلجة . . . وفى عينيها العسليتين . : : الجميلتين . : ألف سؤال عن سبب هذا الاستدعاء . . .

ويبدأ الرجل معها . . حديثاً . . طويلا . . مسهباً عن :

« البلد » : : « وظروفها » . . وعن الجامعة : : : « والتيارات » الموجودة فيها . . . ثم يتحدث عن « الوطنية » ومسئولية المواطن الصالح : : : وفى النهاية . . يطلب منها — كلما سمح وقتها — أن تأتيه « بملاحظاتها » : : : حول مسلك الأولاد . : خصوصاً المتحمسين منهم . . ويؤكد لها : : أن فى هذا العمل . . تأكيداً لوطنيتها .

كما أنه . . يعتبر خطوة . . أساسية . . من خطوات . . بنائها لمستقبلها للحصول على وظيفة ممتازة : : فى الجامعة : : : بمجرد تخرجها على الفور . . .

وفى هذه المرة : : لم يوصلها الرجل : : حتى الباب الخارجى .

وخرجت : : وعشرات من علامات الحيرة : : تتقاذفها من كل جانب .

كان من الضرورى أن تفهم — من البداية — أن وراء هذا الاستدعاء — سراً

وكان يجب . . أن تتحدث فى الأمر . . من بداية . . بمنتهى الصراحة مع « مجد » حبيبها .

ولكن كيف . . ؟

وكيف يمكن أن تتحدث فى مثل هذا الأمر مع مجد . . ؟

وهى تعرف رأيه مقدماً . . . فيمن يمارس هذه الأعمال ؟

لو أنها فعلت . . .

لفر . . منها . . وكأنه يفر من مجذوم . . .

ولانتهى . . علاقته بها وإلى الأبد .

ولكن . . مهما كانت . . النتائج . . .

فليس . . من حقها . . أبداً . . أن تخفى . . عن حبيبها . . شيئاً . .

• • •

وعندما التقت بمجد . . فى الموعد الثابت المحدد . . . وفى المكان « ما » الذى لا يخطر لأحد . . على بال . . .

سألتها عيناه . . عن سبب حيرتها . . . الداخلية .

فبدأت . . تكذب من جديد .

ويسود الصمت . . .

فتسأله عن سبب صمته .

فيجب فى عصبية . . . « مفيش حاجة » . . .

ويسود الصمت من جديد .

وتحس برغبتها . . . فى أن تبكى . . . وترتمى عليه . . وتدفن رأسها . . فى صدره . . . تحتمى فيه . . .

لكن جموده . . . يميت رغبتها . . . وهى فى المهد . . .

كان الغضب الصامت . . يلوح فى عينية وهو يحاول أن يجد مبرراً . . لهذا التغير « المريب» . . الذى يحسه فى حبيبته فلا يستطيع التوصل . . إلى شىء . . .

لكنه . . « بشفافية المحب» . . . كان يحس أن هناك شيئاً « هاماً » . . . و« خطيراً » . . تخفيه . . عنه . . . كان مصمماً . . على أنها . . لولم . . تتحدث معه عن هذا « الشىء » . . . فان الأمر كله . . سوف « ينتهى» حتماً . . .

ويستعيد فى مخيلته . . . كلماتها — قبل أن تظهر عليها أعراض التغير المريب وهى تتحدث عن فهمها . . للصدق والصراحة المطلقة . . بين المحبين . . .

ولكن لماذا تختلف . . مسلكنا عن أقوالنا . . . ؟

وكيف .. ستقيم عالمنا الصغير الجميل .. النقي .. بلا صدق و لا صراحة....؟؟

بعد دقائق ينصرف مجد . . دون أن يتفق معها على لقاء . . .

ويستمر . . ذبول شجرة الحب . . .

وأخذت شجرة الحب تشحب . . مع برودة شهر يناير .

والصمت . . . يظلل . . اللقاءات بينهما .

كان . . يرى الدموع فى عينيها . . .

وكانت تقرأ الغضب الصامت . . فى عينيه . .

ولم يجد فى نفسه الرغبة . . فى أن يجفف دموعها .

ولم تستطع هى أن تصارحه . . فتمتص الغضب من عينيه . . وتحول لقاء الأحباء . . إلى لقاء الغرباء . . . بين إنسانين . . تصوراً . . ذات يوم ... أنهما « امتلكا العالم كله . . بين أيديهما » . . .

* * *

طفل حبهما الجميل . . . يلفظ أنفاسه الأخيرة . . .

وكمحاولة أخيرة . . . لإنقاذ حياة هذا الطفل . . . صارحها . . . بأنه يحس . . . أن شيئاً هاماً وخطيراً . . . تخفيه عنه . . . ومهما كانت النتائج . . . فليس من حقها أن تخفي . . أى شيء عن حبيبها . . .

لكنها أصرت على اخفاء هذا « الشيء » . . لأنها تعرف جيداً . . . رأيه فيمن يمارسون هذا « الشيء » . .

وخير لها ألف مرة . . . أن يلفظ طفل حبهما . . أنفاسه الأخيرة ويعيشا متباعدين على ذكرى الأيام الحلوة الماضية . . . من أن تشوه . . صورة هذا الطفل . . فى قلب صانعه .

وتركها مجد . . .

وتولى بنفسه « دفن » طفل الحب . . فى جنازة « فردية » . . . لم يشركها فيها على الإطلاق .

فقد كانت هى وحدها . . . سبب مصرع طفل هذا الحب .

• • •

ويعذبها الشوق . . . والحنين . . . إلى مجد .

فتضع الوردة الحمراء فى فستانها . . . حتى يفهم مجد أنها تريده اليوم . . لأمر عاجل ويتطلع مجد إلى الوردة الحمراء . . دون اكتراث .

وفى كل مرة . . . تذهب إلى المكان الـ « ما » والذى لايخطر على بال أحد . . والذى شهد أروع لحظات حبهما . . . ولكنها . . . لاتجد . . مجد . . . فى انتظارها هناك . . . وفى كل مرة . . تعود . . . مقهورة . . منكسة الرأس . . .

• • •

بروودة الشتاء . . تزداد .

كان يراها . . من بعيد . . وهى تلبس ملابس الشتاء الصوفية الأنيقة . . .
وينظر إلى وجهها من بعيد . . فلا يجد فيه . . . تلك « البراءة » التى كانت تزيده جمالا . . على جمال . . . كان يشعر أنها بالفعل . . . أصبحت دميمة . . .

أما هى . . فقد لجأت إلى المساحيق .. تلطخ بها وجهها حتى تدارى شحوبه . . .

وأخفت . . حبى الكرير . . تحت الروج الذى رسمت به شفتيها .

وكانت دائماً تضحك . .

كان يسمع ضحكاتها . . ويحس أنها تبكى . . تصرخ .

كان يعرفها . . ويعرف . . أن ابتسامها وضحكاتها . . . ليست سوى تشنجات عصبية . . .

«يا خسارة . . ياولاد» . .

« يامليون . . خسارة » . . .

قالها مجد لنفسه . . ثم رفع قامته . . وهو يمضى . . فى طريقه إلى مدرج المحاضرات . . . وملامحه . . تكتسى بالأسى . . والكبرياء . . .

• • •

إحساسها المتزايد . . بالوحدة . . . يلفها . . مع برودة الشتاء . . رغم الملابس الصوفية الثقيلة . . .

وكلما تزايد هذا الإحساس . . . تتصور وتحاول أن تقنع نفسها . . . أن مجد قد خانها . . غدر بها . . تخلى عنها . . .

وتستبد بها . . رغبة مجنونة . . فى « الانتقام » .

كانت تريد . . أن تنتقم منه ، أن تهزمه ، أن تذله . . .

وليس هناك . . شيء . . يدعو . . إلى المرارة . . والأسى . . والرثاء مثل الحب . . . بكل حلاوته . . . وتضحياته . . ومعاركه . . وذكرياته . . وأحلامه وتسامحه . . وهمساته . . ووروده . . . وأشواقه . . . وأنغامه . . . وحنينه . . . وحنانه . . . عندما يتحول . . إلى معركة عنيدة . . ضارية بين المحبين حينئذ !

يتحول . . الحب . . . إلى حقد وانتقام . . .

« وحلاوة الحب » . . . إلى . . . أكثر من مرارة العلقم . . .

« وتضحيات الحب » . . . إلى . . . أنانية شرسة . . . مدمرة

« ومعارك الحب » . . . إلى . . . هزائم . . . بلا انتصارات

« وتسامح الحب » . . . إلى . . . عناد مجنون . . . لايعرف الغفران .

« وذكريات الحب » . . . إلى . . . تعاسة . . . ما بعدها تعاسة .

« وأحلام الحب » . . . إلى . . . كابوس مزعج مخيف .

« وهمسات الحب » . . . إلى . . . فحيح . . . كفحيح . . . الأفاعي . . .

« وورود الحب » . . . إلى . . . أشواك . . . تدمى الأنامل . . .

« وأشواق الحب » . . . إلى . . . هجر . . . وفراق .

« وحنين الحب» إلى خصام . . . ودمار .

« وحنان الحب » . . . إلى . . . قسوة . . . وإذلال .

« وأنغام الحب » . . . إلى مارش جنائزى . . . يشيع أغلى الأحباء .

وأعلنت الحرب سراً . . . وبوسائلها الخاصة ... على مجد . . . حبيبها . . . الذى كان . .

وصممت . . . على أن تهزمه . . تذله .

وفى رحلتها . . . لهزيمته . . . وإذلاله . . . كانت . . . محادثاتها « التليفونية » تتوالى « وملاحظاتها » عن « الأولاد » . . خاصة المتحمسين منهم — كما أوصاها الرجل — « تتابع » . . .

و « مصروفها » . . . تأخذه من « جيب » الرجل بانتظام . . .

وإنتهت « علاقتها » نهائياً بمؤسسة النقل العام . . . وزحام أتوبيساتها . . أصبحت تستخدم « التاكسى » . . فى إنتقالاتها . .

كانت تبدو . . قلقة . . متوترة . . تبحث دائماً عن شيء ضاع منها . . . تضحك فى هستيرية . . ثم يغمرها حزن سحيق . .

وكلما . . رأت مجد — وكانت تتعمد البحث عنه لتراه — وهو يمشى فى خطواته السريعة الواثقة . . وزملاؤه من حوله . . .

تتذكر على الفور . . .

طفل حبهما . . . وبكارتها . . . ونقاءها . . . وعذريتها . . . وبراءتها .

وتتمزق المسكينة . . . وتشعر بحاجتها الملحة . . . لأن تكون لها صديقة . . أو صديق . .

وكان من العسير . . أن تجد بين طلبة الكلية . . . بغيتها . . . فالأصدقاء . . . وحتى الصديقات التى كانت كاتمة أسرارهن العاطفية والإنسانية . . . أصبحن كلهن وأصبح الزملاء كلهم . . « المادة الخام » التى تتقاضى عنها « مصروفها » بانتظام . . .

وبحثت . . عن أبيها . . عن أمها . . عن أخوتها . . علها . . تجد بينهم الصديق الذى تبحث عنه . . تفتح له قلبها . . تشكو . . له عذاباتها . . . تستشيره . . . تأخذ برأيه . . . يساعدها فى الخلاص من حيرتها . .

لكن الأب . .

فى حالة . . استثارة عصبية مستمرة . . منذ أن بلغ سن الإحالة . . على المعاش . وليس مستعداً . . لأن يفهم شيئاً . . أو يتفاهم فى شىء . .

فهو مشغول دائماً . . بالشجار . . والنقار . . مع أمها . . ومع أخوتها . . وهو لايدرى . . ولايحس بها . . لدرجة . . انه لم يحاول أن يسألها . .

من أين تأتى بالنقود التى تشترى بها الملابس الأنيقة الفاخرة الغالية . . والتى أصبح دولابها الخاص . . يزدحم بها . . .

ولم يحاول أن يسألها . . . حتى تكذب عليه . . . كما كذبت على أمها وأخوتها عندما سألوها عن مصدر هذه النقود فأجابتهم :

« متنسوش إنى بأحصل باستمرار على قروض من بنك الطلبة » .

ومتنسوش أيضاً . . إنى الطالبة المثالية فى الكلية . . . وبيصرفوا لى مكافأة شهرية .

وتصدق الأم . . . ويصدق الأخوة الصغار الطيبون . . .

وفكرت . . . فى أمها ، هل تتخذ منها الصديق الذى تبحث عنه ؟ . . وتفتح لها قلبها ؟ . .

لكن الأم مشغولة باستقبال . . . وصداقة . . . وزيارات . . . أم هانى . . . أشهر « خاطبة » . . . فى الأوساط الراقية . . . لتأتى للدكتورة . . . بعريس . . . غنى و « لقطه » . . . وابن ناس « أكابر » . . .

وأم هانى . . تأتى للأم . . فى كل مرة . . بمجموعة من صور العرسان الذين يليقون بالدكتورة . . التى هى « أنا » . . . وأمى . . منذ التحاقى بكلية الطب . . . وهى تنادينى . . بالدكتورة . . . وتسعد جداً . . وهى تسمع الجيران . . . ينادونها بأم الدكتورة . . .

ومع صور « العرسان » التى تأتى بها أم هانى . . . تقرير كامل عن كل عريس وشكله . . وسنه . . . ووظيفته . . ودخله . . وأصله . . . والمهر الذى يستطيع أن يدفعه . . والشبكة التى سيشبك بها . . صاحبة القسمة . . والنصيب . . .

وفى كل مرة . . تأتى فيها « أم هانى » بمجموعة من صور « العرسان » . . لاتنتهى زيارتها . . قبل أن تحصل من الأم على « الأتعاب » .

والغريب . . أن اللقاءات . . . بين أمها . . . وأم هانى . . تتم فى سرية تامة حتى لاتلحظ « البنت » .. فالمسألة لاتهم « البنت » فى شيء . . لأن « البنت » حتى ولوكانت طالبة أو خريجة جامعة . . فليس من حقها . . أن تشارك . . فى اختيار شريك حياتها . . !

لأن الأهل . . هم وحدهم الذين يختارون . . .

والأهل . . دائماً . . على حق .

وهم الأدرى . . دائماً . . بصالح ومستقبل . . ابنتهم .

واستبعدت البنت . . الأب . . . والأم . . . معاً . . .

وفكرت . . فى اخوتها الثلاثة . . .

انهم أصغر منها سناً . . . وأقل ادراكاً . . .

صحيح أنها تحبهم . . . وأنهم قريبون جداً . . إلى قلبها . . وهى دائماً . . . تسخو فى هداياها لهم . . وتجد فى الجلوس معهم . . راحة كبيرة . . . بعد أى عناء تصاب به . . خلال الحياة الجديدة اللاهثة التى أصبحت تحياها . . .

لكن صغر سنهم . . . وادراكهم الفنى . . . يجعل من غير المجدى . . ومن غير المفيد أن تفتح لهم قلبها . . . وتشكو لهم عذاباتها . . . تستشيرهم . . . تأخذ رأيهم ليساعدوها . . . فى الخلاص من حيرتها . . وعذاباتها . . .

لاخيار . . أمامها . . . من أن تتحدث . . مع أخيها الأكبر الذى كان . . . أكثر أفراد الأسرة .. فهما .. لها .. واقتناعاً بها .. وتشجيعاً لها .. وإعجاباً .. بنقائها . . وحيويتها . . وتفتحها . . وبراءتها . . . وسنداً لها . . إذا ما تعرضت « لشطحات » الأب . . أو مضايقات الأم . . .

لكنها . . . وجدته فجأة . . . يتحاشى الحديث معها . . . وعنها . . . ويشيح بوجهه عنها . . كاما التقيا . . وتهرب نظراته منها . . . وكف عن سؤاله المستمر عن أخبار دراستها . . وأحوال زميلاتها . . . وامتنع عن « الدردشة » معها عن أرائه . . . وأفكاره . . . ونظراته . . فى الحياة . . وفى الناس . . . ولم يعد يحاول كعادته . . . أن يبدى إعجابه بأى شىء جديد تلبسه . . .

وكلما حاولت . . . أن تسأله . . . عن سر تغيره المفاجىء . . .

كان يجيبها . . . بكلمات مقتضبة . . . لاتتغير .

اسألى . . روحك . . .

ثم يتركها . . . ويدخل غرفته . . . ويغلقها عليه . .

ومع كل هذا . . .

لاخيار أمامها من أن تتحدث مع أخيها الأكبر . . . فقد كان . . رغم كل شىء . . . يمثل لها . . أملا أخيراً فى الخلاص . . .

وحكت . . . لأخيها الأكبر . . . القصة من بدايتها .

وأكدت له . . . أنها لاتود ولاترغب فى التحرر من . . « صداقة الشيطان » لأن قوةهائلة خفية تدفعها نحو هذه الصداقة . .

وأكدت له أيضاً . . . أنها لاتستطيع التراجع عن ممارسة هذا « الشئ » الذى قبلته فى البداية باختيارها . . . ثم أصبحت مدمنة عليه . . يربطها به . . . رباط سحرى . . . لايرى . . .

وهى فى نفس الوقت . . . تحترق . . من أجل . . «مجد» حبيبها الذى هجرها مع بداية « تعاملها » . . مع الرجل .

وفى ذهول . . . استنكر الأخ هذا المسلك . . ووصفه « بالسقوط والانحدار »

ثم أخذ يصب . . غضبه على هذا « الرجل » . . وأمثاله . . ممن يعهرون حتى يتحول إلى جهاز متمزق لخدمتهم . . ثم يتركونه . . نفاية . . . لاتستحق منهم ومن الآخرين . . حتى البصاق .

ثم هدأ الأخ . . . وبدأ يعاود حديثه لأخته . . . عن نفسه . . وعن تجاربه . . وعن أرائه . . وعن نظرته إلى الحياة . . .

كان يتحدث فى ثقة . . . وكان يرى الغد . . باسماً . . مشرقاً . .

وكان يؤكد . . . لأخته الوحيدة . . . ان كافة تلك الظروف . . « اللقيطة » التى سمحت بكل هذا . . . لن تستمر . . . لأن هذا هو المستحيل .

وأن الفجر . . يظهر دائماً . . . عندما يشتد حالك الظلام . . .

وطلب منها . . . ان تنتصر على نفسها . . . وتحررها من صداقة الشيطان

وتسترد انسانيتها . . . وتستعيد . . نقاءها . . وبكارتها . . . وطهارتها . . . وبراءتها . .

كيف الخلاص؟ ! !

وقد كبلها الرجل بسلاسل غير مرئية . . . لاقدرة . . . لها . . . ولا رغبة لها فى أن تحطم هذه السلاسل . . .

وسيطرت عليها – بعد أن استمعت إلى حديث أخيها الأكبر – فكرة . . وحيدة وحيدة . . . رأت أنها تمثل خلاصها . . .

وهى . . أن تنتحر . . وتترك لمجد رسالة . . تحكى له فيها كل شىء . . . وتؤكد له فيها . . كم أحبته . . . وكم تعذبت وهى تعيش الحياة بدونه . . . وتطلب منه أن يسامحها . . . ويغفر لها خطاياها . . فى حقه . . . وفى حق طفل حبهما الجميل .

كانت تمشى . . . مذهولة . . يزداد وجهها . . شحوباً . . وتزداد مساحيقه وألوانه . . . وتسيطر عليها فكرتها الوحيدة . . .

وذات صباح . . .

فى كافيتريا الكلية . . . التقت بمجد . . نظرت إليه . . فى ضراعة . . . بينما . . . كان هو يتطلع إلى الأمام . . . وكأنه يجرى . . يهرب منها . . فى خطواته السريعة الواثقة . . . دون أن ينظر إليها . .

وقررت أن تؤجل مؤقتاً تنفيذ فكرتها الوحيدة . . التى تمثل خلاصها . . .

وفى نفس الوقت . . قررت أيضاً . . أن تواصل حربها . . لتهزم هذا المخلوق العنيد . . الذى صور لها خيالها المريض . . . أنه خانها . . وغدر بها . . . وتخلى عنها . . .

وبدأت . . تكتب « الملاحظات » عنه . . باعتباره واحد من أخطر الأولاد « المتحمسين » . . . وتوالى الاتصال التليفونى . . . وتضخم « ملاحظاتها » لكى تبرز « أهميتها » . . وتؤكد « الحاجة » إليها .

كان الرجل . . . و « صبيانه » . . . : يشجعونها . . ويؤكدون تقدمها ويبدون رقة فى معاملتهم لها . . ويزدادون كرماً وسخاء . . فى « مصروفها » .

ومضت فى طريقها . . تحقق نجاحاً . . وراء نجاح . .

* * *

وذات يوم . . .

جلس « الرجل الكبير » . . . وسط مجموعة من زملائه . . وأصدقائه الكبار يتحدث عن « أمجاده » فى « مهنته » . . . وتحدث عن « الدكتورة » . . . أى عنها . . . ووصف الطريقة التى « التقطها » بها . . . وتطور حماسها للعمل معه

وواصل حديثه عن نجاحاته مع هذه الفتاة . . التى استطاعت . . . فى أحد المرات . . أن تتخطى كافة « الاعتبارات » « التقليدية » وأن تتحرر من كافة « الرواسب» القبلية . . والعائلية . . . بأن تقدم له « تقريرا » هاماً للغاية تضمن معلومات . . بالغة الخطورة .

وكان . . « حبيبها » . . . « وشقيقها الأكبر » . . . هما . . العنصر الأساسى فى هذا « التقرير » . . .

وأكد الرجل على مهارته فى التعامل مع المثقفين . . والمثقفات من أمثال هذه الفتاة . . . التى بدأت العمل معه « رومانتيكية » مترددة . . .

. . وانتهت . . « موضوعية » و« عملية » للغاية .

حتى أنها . . عندما وجدت . . أن . . . « حبيبها » . . . و« شقيقها الأكبر » ضد . . « الخط » . . . سارعت بتقديم تقرير عنهما .

فكافأها « الرجل » على مثاليتها بشيك . . بخمسمائة جنيه .

وهذه المثالية — من وجهة نظر الرجل :

أعلى . . مراحل الإخلاص فى العمل . . الوطنى . . .

انترع . . . « صبيان الرجل » . . . صديقنا مجد من بيت والدته : : الأرملة الشابة . . التى مات زوجها . . . ولم يترك لها سوى . . مجد الصغير : : : وجنيهات قليلة . . . هى كل المعاش الشهرى.

ورغم كل محاولات الأسرة والصديقات والجيران : : لإقناعها : : : بألا تدفن شبابها : : وأن تقبل واحداً : : من « العرسان» الذين يتقدمون إليها لأن الرجل : : للمرأة : : : هو باب لبيتها . : : يحميه من اللصوص : : : وأن : : : امرأة شابة مثلك : : : بلا رجل . : . تغرى : : : اللصوص بالسطو على بيتها : . . وسرقة مافيه . . .

إلا أنها . . رفضت كل محاولات الإقناع . . والإغراء : : : وصممت أن : : تهب شبابها .. بل حياتها . . . لوحيدها «مجد» . . حتى تحقق أمل « زوجها » المرحوم : : : فى أن يصير « مجد » الصغير . . . طبيباً : : « قد الدنيا » : : : مثل أبيه : : الذى اختطفه الموت . . وهو فى ريعان شبابه . . .

ويذهب مجد : : فى رحلة مجهولة : : « وراء الشمس » مع مجموعة من زملائه طلبة الكلية . . . والذين كانوا يمثلون « المادة الخام » التى تبيعها بطلتنا « للرجل » وتتقاضى عنها « مصروفها » بانتظام . . .

وامتلأت الكلية : : بأنباء ذهاب مجد ومجموعة من زملائه فى رحلة مجهولة « وراء الشمس » :

وحاولت أن تقنع نفسها : : : أنها أخيراً : : قد انتصرت على مجد : : هزمته أذلته : : : حطمته : :

لكن . . . نظرات زملائها : : وزميلاتها فى الكلية : : : ونظرات : : أخيها الأكبر كانت تصوب إليها : . وكأنها أصابع اتهام : : : تشير إليها . . .

تحاول . . . اللحاق بها . . . وانقضاض . . . عليها . . وتأخذ . . بتلابيبها . .
كأنها . . . سهام . . . مسمومة . . . تطلق عليها فتمزق جسدها . . وتدميه .

* * *

أين المفر . . . ؟ .

وتعاودها . . في إلحاح . . . فكرتها الوحيدة . . . التي تمثل خلاصها . . .
ولكنها مستحيل . . . أن تموت . . . قبل أن ترى . . . مجد . . . بنفسها . . .
وتصارحه بكل شيء . . . وتركع أمامه . . . في ضراعة . . . تستغفره وتطلب
منه أن يسامحها . . .

حتى يكون غفران حبيبها . . . برداً وسلاماً . . . عليها . . . في الجحيم . . بعد
أن تصعد روحها . . . إلى العالم الآخر . . .

وأسرعت إلى الرجل الكبير .

تطلب . . منه تصريحاً خاصاً عاجلا . . . بزيارة مجد . . . ولما سألها عن
السبب . .

لم تذكر له حقيقة ما فكرت فيه . . . بعد أن أصبحت مدربة على أساليب . .
الكذب والغش . . والخداع . .

قالت له :

علشان . . أبعد الشبهة عن نفسي . . وأجدد علاقتي به وأعرف أخباره
الجديدة . . وكل . . ده . . في مصلحة الشغل . .

« مدهشة . . . يا أحسن تلميذة . . في جامعتي الخاصة » . . .

قالها الرجل الكبير باعتزاز وفخار بتلميذته . . . التي بدأت . . العمل معه
روما نتيكية . . مترددة . . . وانتهت . . موضوعية . . وعملية للغاية . .

قبل شروق الشمس . . .

خرجت من البيت . . . فى طريقها : : إلى مجد . . . وبيدها . . تصريح خاص . . . يسمح لها باختراق المجالين : : الأرضى . . والجوى . . . حتى تصل . . إلى وراء الشمس . . قبل أن تشرق الشمس . .

كانت وهى تقترب من نهاية الطريق إلى مجد . . . تحاول . . اعادة ترتيب . . وحفظ دورها قبل أن تلقاه . . . :

ستقابله : . بالأحضان والعناق الطويل .

ستبلل . . . وجهه . . وخديه . . . بدموعها الساخنة .

ستطبق . . . بشفتيها . . على شفتيه . . حتى لا تدع له . . . فرصة للعتاب . . .

وما أحر . . . أشواقها . . إلى رحيق شفتيه . . .

ستدفن رأسها . . فى صدره . . . تحتمى فيه . . . منه .

ستدفع رأسها . . . وهى لازالت تضمه إلى صدرها : : :

وتنظر إليه . . . بعينيها الدامعتين الضارعتين . . .

وتستحلفه . . . بأحلى الساعات التى أمضياها سوياً . .

قبل : : : أن تفقد نقاءها وبكارتها : : : وبراءتها . . . أن يستمع إليها .

ستعترف له بكل شىء . . . ستصارحه بكل شىء .

ستركع : : فى النهاية ... مستسلمة .. مهزومة ... تحت قدميه وتناشده . . بكل ما هو طيب . . . وخير . . وشريف . . أن يعفو عنها . . . أن يغفر لها . . . أن يسامحها .

ثم فى ختام المشهد

ستغيب معه . . فى قبلة طويلة حارة . . .

قبلة الوداع الأخير . . .

لقد أعدت . . لكل شيء . . فى المشهد . . . حسابه :

ولكن . . الشيء الذى . . لم تهيء . . نفسها . . له . . . لأنها . . . رغم كل ما حدث . . لاتريد أن تصدقه . . أو تقتنع به . . . أن مجد . . . قد دفن طفل حبهما . . فى جنازة فردية . . . لم يشركها فيها . . على الإطلاق . . .

فقد . . كانت هى . . وحدها سبب . . مصرع . . طفل . . هذا الحب . . . وأنه لهذا أسقطها كلية من حياته . .

ورفض مجد أن يقابلها . . ولما . . أصرت . . بدموعها . . . على أن تلقاه جاء إليها . . . والشرر . . يتطاير من عينيه . . . هاتين العينين لم . . ترفيهما من قبل . . أى نوع من أنواع الشرر . .

كانت ترى فيهما . . . حتى . . فى لحظات التوتر . . . الهدوء والعمق والحنان والأمل . . .

وكاد . . الشرر المتطاير من عينيه . . أن يحرق . . . جسدها . . .

وكادت . . حرارة صراخه . . وزئيره . . . أن تشوى . . . روحها . . .

لولا أن أسرعت بالخروج من حجرة الزيارة . . . وصراخه . . . وزئيره . . . يطاردانها . .

« اطردوها . . . برة . . . المجرمة . .

« مش عايز . . أشوف . . الخاينة . .

« مش عايز . . أشوفها . .

وسارت . . . من جديد . . . فى الطريق الطويل . . . عائدة . . . من الرحلة المجهولة . . وراء الشمس . .

شاردة . . . واجمة . . . فى ذهول . . .

لاتصدق . . . ما رأته . . . ما سمعته . . .

مستحيل . . أن يكون هذا . . . هو « مجد » . . الذى أحست . . يوماً ما . . وهى معه . . . أنهما . . . « هو . . وهى » . . يمتلكان العالم كله بين أيديهما . . .

كانت تسير . . . وكأنها تمشى خلف نعش مغطى بحرير أبيض . . ومن حوله شريط لامع أخضر . .

وأحست أن الرفات . . . التى يمتلىء بها النعش . . . هى . . رفاتها . . هى . .

وأنها . . . الآن . . . تسير فى جنازتها . . . وتشيع نفسها فى رحلة اللاعودة . . . الخالدة . .

حاولت جاهدة . . . أن تبكى . . . أن تغرق نفسها فى بحر من الدموع . . . ترطب بها لهيب جسدها . . وشواء روحها أن تغسل . . بدموعها . . بعضاً مما يسحقها .

ولكن . . . حتى الدموع . . . صديقة عمرها . . . هجرتها . . تمردت عليها . . . رفضت . . . أن تطيعها . . . تحجرت . . فى مآقيها . . .

وساقتها . . . قدماها . . . المكدودتان . . . إلى البيت .

لم ترد . . . على تساؤلات ودهشة . . أمها . . وأبيها . . وأخوتها الثلاثة . . . حينما . . . رأوها . . . ذليلة . . . منكسرة . . . مقهورة . . . لاهثة .

دخلت . . غرفتها . . . وأغلقت بابها بالمفتاح . . امتنعت . . نهائياً . .. عن الطعام . . أصبحت . . تخاف . . . من ذهابها إلى الكلية . . قاطعت . . . كل من فى البيت . . . لا تخرج . . من غرفتها . . . ألا لتذهب فى اعياء ظاهر . . . إلى الحمام . . .

أسبوع واحد فقط . . . يمر . . .

ويسقط الرجل الكبير المسئول . . . الذى كانت عيونه . . ترصد خفقات القلوب . . . وآذانه . . تتسمع : : حتى دبيب النمل .

وتنشر الصحف . . . خبر سقوط الرجل الخطير . . . فى صفحاتها الأولى وبما نشيت أحمر كبير .

ويمسك الأخ الأكبر . . . بواحدة . . من هذه الصحف . . . « ويسربها » من تحت عقب الباب . . . باب حجرة أخته : : المغلقة دائماً . . .

وتقرأ الطالبة المثالية . . . خبر سقوط « أستاذها » . . الذى كان . . يفاخر دائماً . . . بأنها من أعظم تلميذاته : : والتى تخرجت من جامعته الخاصة . : :

وأدركت . . . وهى تقرأ . . خبر سقوط الرجل إن كل شىء . . . فيها . .. قد سقط . . . فعلا :

بكارتها . . . قد . . مزقت .

نقاوتها . . . قد . . شوه . .

عذريتها . . قد . . انتهكت . .

ضميرها . . . قد . . سرق . . منها . .

قلبها . . . قد . . أصبح ينزف دماً أسود . . بعد أن ملأه الحقد . . .

حبها . . . قتل . . قتل وهو طفل . . صغير . . يحبو . .

شرفها . . قد . . بيع . . برخص التراب . .

أخوها الأكبر . . قد . . أصبح غريباً . . عليها . .

حبيبها . . . قد . . . سخرت . . . لتلقي به . . . وراء الشمس . .

حتى الرجل الذى توهمت . . . أنه أكبر وأعظم . . من أن يسقط سقط هو الآخر سقوطاً مروعاً .

وبسقوط هذا . . وسقوط . . كل شيء فيها . .

استسلمت . . وتهاوت . . . آخر قلعة من قلاع مقاومتها .

اخوتى . . .

لاتفزعوا . . .

وأنتم تسمعون . . .

صرخة . . . عالية . . . وطويلة

تمزق . . . السكون . . الذى يخيم على الشارع . . فى مثل تلك . . . الساعات المتأخرة . . من الليل . .

وقبل . . أن يبزغ . . الفجر . . . بلحظات كان ثمة شيء يسقط من الدور العاشر . . . ليرتطم فى عنف . . برصيف الشارع . . .

ويستيقظ . . كل سكان العمارة . . وسكان العمارات المجاورة . . .

وتتعانق . . أعمدة النور . . . بخيوط الفجر . . . الذى ولد الآن . . لتضيء الشارع .

وهكذا . . . استطاع : : كل سكان العمارة . . . والعمارات المجاورة . . . أن يروا . . . الجثة : : :

جثة فتاة . . . فى عمر الزهور . . . قتل فيها : : الربيع . : تسبح . . . فى بركة : : : من دمائها . . . وتخضب الدماء . . . الفستان الأبيض : . الملائكى. . . الذى اشترته من أول « مائة » جنيه . . . تقاضتها من الرجل . . والذى أصرت على أن تلبسه . . . قبل أن تشرع فى تنفيذ فكرتها الوحيدة . . . التى تمثل . . . خلاصها الأخير . : .

ويواصل نعش الفتاة السير . . . فى رحلة . . اللاعودة . . الخالدة . :

كان . . عدد المشيعين . . . تسعة فقط . . .

ثلاثة من « الحانوتية » يحملون النعش .

ووالد الفتاة : : . وقد انحنى ظهره . . . وهدته الصدمة : : فلم تعد ساقاه قادرتين حتى على حمل جسده المتهالك . . الضئيل .

وأمها . . . وهى تطلق صرخات محمومة : . كأنها تبكى : : نفسها التى حرمت منذ طفولتها من الحب والدفء والحنان . . . كانت سعادتها الوحيدة : : : أن تسمع جيرانها ينادونها . . بأم الدكتورة . . . ولن تسمع هذا النداء بعد اليوم ولن يبقى لها شيء تسعد به . . . فقد ماتت « الدكتورة » نفسها : . .

وأخوتها الثلاثة الصغار : : . الذين كان صغرهم : . يجعل من غير المجدى : ومن غير المفيد : : : أن تفتح لهم قلبها : : . وتشكو لهم عذاباتها . . وتطلب منهم يساعدوها : : فى الخلاص من حيرتها وتعاستها . . .

وأم هانى صديقة الأم . : وأشهر خاطبة : : فى الأوساط الراقية . . التى أخذت تبكى : : فقدت « زبونة » عزيزة من زبائنها الأسخياء . . .

أما أخوها الأكبر . .

فقد اعتذر عن الاشتراك . . فى تشييع الجنازة .

في نفس الساعة التى تحددت لتشييع الجنازة . . .

كان أخوها الأكبر . . . فى طريقه . . . إلى مجد . .
وراء الشمس . . .

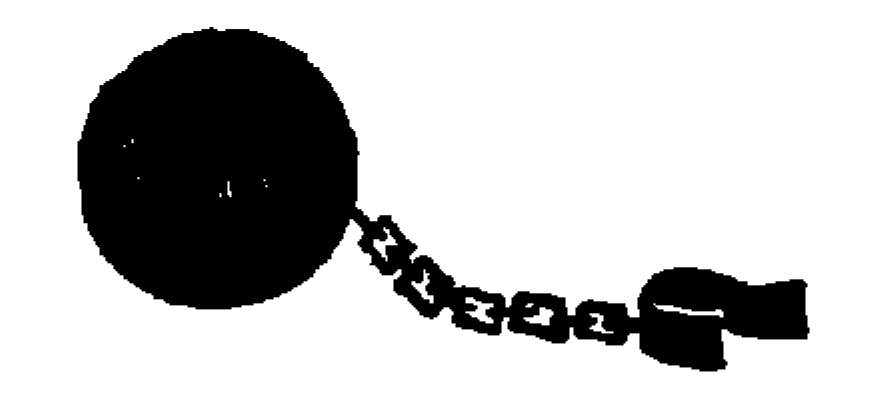
ليكون فى استقبال « مجد » بعد أن صدر قرار الإفراج
عنه . . . وإغلاق المعتقلات السياسية . . وإلى الأبد . .

وليحكى له . . .

قصة النهاية المحتومة . . .

لاعلى . . مراحل . . الإخلاص . . .

فى العمل . . الوطنى ! ! ! !





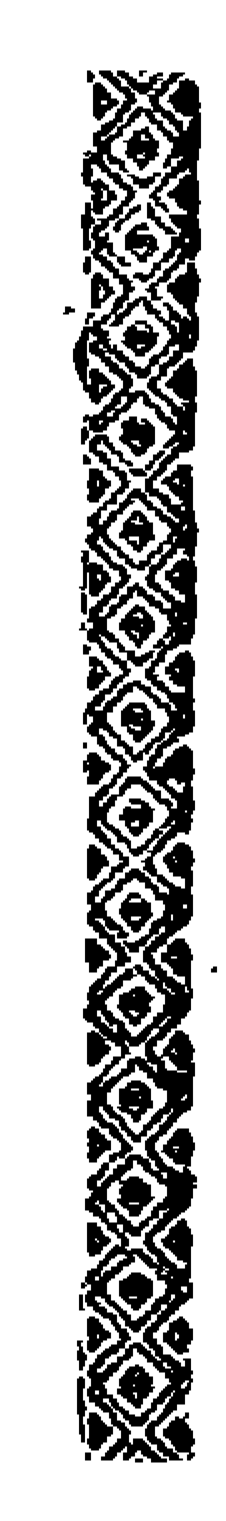
● الجميع .. يريدونه حيا ! ●

الجميع يريدونه .. حياً





● تساؤل برىء .. حول ((طعم)) ..
هذا اللحم البشرى المنتوف ...
المتساقط مع ايقاع ((الكرابيج)) ... ؟ ؟
لماذا .. لا يقوم ((الواد)) الدكتور نفسه
بتذوق لحم نفسه بنفسه .. حتى يمكن
.. أن يكون هو ((الحكم)) الصحيح على
((ماهية)) طعم لحمه .. هو شخصيا ... ؟؟
((تعميقا)) لمفهوم الديموقراطية
... وحرية الفرد .. فى الحكم بنفسه
..وبشكل ارادى بحت .. وبلا ((مؤثرات))
خارجية ... !!! ●



الجميع يريدونه .. حيا

كثيرون السذج ... يتصورون .. أن الترفيه عن النفس البشرية ... ينحصر فى تلك الوسائل الترفيهية المستهلكة :: من مسرح ... إلى سينما ... إلى إذاعة .. إلى تليفزيون ... الخ ... من فنون الترفيه ... التى اعتاد التقليديون .. الاستمتاع بها ::

ولايريد هؤلاء السذج ... أن يدركوا ::: أن هناك ... حفلات ترفيهية تبعث فى النفس نشوة .:: لانتصور على الإطلاق :: أنه كان يمكن أن تدركها هذه النفس ... لو أنها ظلت منحصرة ... داخل ذلك الإطار التقليدى ... من فنون الترفيه .

إن الترفيه ... لايعنى :: بحال من الأحوال .. ذلك الاستمتاع السطحى التافه بالإنتاج البشرى .. فى الفنون .. والآداب .. إلى آخر تلك الترهات التى تعارف عليها المثقفون ..

ولكن ... هناك ألوان من النشوة ... تبدو كالحلم ... تحلق بك إلى آفاق بعيدة ... نشوانة تدغدغ الروح ... والذات وتقضى على ملل الحياة ... وسقمها ..

وهكذا :: تتجدد الحياة :: ويكتسب الإنسان نشوة التجديد .. والمغامرة .. والاقتحام .. فى عصرنا هذا الذى أصبح خالياً من الفروسية .. ومليئاً بالجرذان

نعم : : لقد أصبح عصرنا هذا . : : مليئاً بالفئران . : :

وها هو : : أحد الفئران : : قد سقط . : :

آسف : : : لم يكن هذا كلامى . : . أنا . . .

لقد كانت هذه مقدمة أدلى بها إلى . . . « ذئب» معروف قبل أن يتيح لى أن أرى بنفسى . . . هذا المشهد . . الذى يؤكد تقليديتنا . . . جميعاً : : فى نظرتنا : : لوسائل الترفيه . . وأدواته . . .

وبالفعل سمح لى أن أرى هذا المشهد : : :

أو فرض على : : : أن أرى . . . قبل أن يأتى دورى . .

ويتفضل على « الذئب» . . أى . . « ذئب» . : . فيغرس مخالبه . . . وأنيابه فى جسدى . . . ويشرب . . . ويشرب . . من دمى . . حتى يرتوى. : :

وهو أبداً : : . لايرتوى : : :

ولم يكن المشهد الذى سمح لى . . . أو فرض على : . أن أراه : : : لم يكن مشهداً . . تقليدياً على الإطلاق : :

« ترابيزة » كبيرة مستديرة . : :

حولها . : . ثلاثة من الكراسى . : : المريحة جداً . . .

فوق الترابيزة الكبيرة المستديرة . : :

وضعت زجاجات الويسكى غير المغشوش : : :

وكئوس فاخرة : : : مصنوعة من الكريستال التشيكسلوفاكى الثمين . .
وأطباق من الصينى النادر : : : متناثرة . . . مليئة بالمشهيات : : :

وثلاثة من « الذئاب » المعروفة جدا . . . يجلسون فوق الكراسى . . : فى استرخاء . . لامبالى . . .

مكعبات الثلج . . . تتلألأ . . تحت ضياء القمر . . .

والشرب . . . نشوة تلوح فى العيون . . . وللنشوة . . . جنون . . . لايدركه . . . سوى خبراء الجنون . . .

كان اليوم . . . روتينياً حقيراً . . . ليس فيه جديد . . .

والمخموررون الثلاثة ... يبحثون ... دائماً عن الجديد ... وهم . . فى هذا المجال ... رواد ... رائدون ... فما العمل ... أيها الويسكى الاسكتلندى ؟

يا . . باعث الجنون . . ومفجر كل الفنون ...

واجاب الويسكى الاسكتلندى اللئيم ...

احضروا . . . « الواد الدكتور » . . . !!! فقد تجدون عنده العلاج . . . لسقم . . وروتينية . . وحقارة . . . يومكم هذا . . .

ما أبرعك . . . أيها الويسكى الاسكتلندى الأصيل . . وما أخبثك . . . فى الاختيار . . . وما أروعك . . . !!

وصدرت الأوامر والتعليمات . . . باحضار « الواد الدكتور » الذى جن ذات يوم . . . وأخذ . . . يتأمل . . . فيما يدور حوله من أمور . . . وكون لنفسه رأياً خاصاً . . فى الحياة . . وفى الناس . . بالرغم من نصائح والدته . . « الحاجة » اليومية المتكررة . . . بان يتجنب . . . التأمل . . . والتفكير . . . مجرد التأمل . . . ومجرد التفكير . . .

سيق . . ليمثل بين مخالب « الذئاب » العظام . . .

وعلى بعد أمتار قليلة من « الترابيزة » . . . بدأت السهرة التى بدا . . . وكأنها أعدت خصيصاً لهذا « الواد الدكتور » . . . ولمعت الكرابيج . . . تحت ضياء القمر . . . وهى تهبط . . . فى عنف . . فوق هذا الجسد النحيل . . . لتنير . . المثقف . . . ولعلعت فى الجو . . . إيقاعات الكرابيج . . .

وصهلت الآهات مع الأنغام . . . المنبعثة من ذلك المشروب الاسكتلندى الرائع . . . والدماء . . . تنساب فى بطء . . . نتيجة . . . للزوجتها . . . كدماء متقفة غير زرقاء . . من ناحية . . . وتتأمل فيما يدور حولها . . . وتفكر . . . رغم نصائح الأم . . من ناحية أخرى . . .

ويبدو . . أن ذلك المشروب الاسكتلندى . . . كان نوعه فى تلك الأمسية . . غريباً . . فقد طرحت فكرة جديدة . . . وخلاقة . . ومبتكره . . وغير تقليدية من أحد المخمورين . عندما شاهد قطعاً متوفة من اللحم البشرى . . . بدأت تتساقط مع إيقاع الكرابيج . . .

كان ملخص هذه الفكرة . . . الجديدة . . . الخلاقة . . هو : : :
تساؤل برىء . . . حول . . . طعم . . . هذا اللحم البشرى المتوف : . الذى يتساقط مع إيقاع الكرابيج . . ساعد على طرح هذه الفكرة الخلاقه . . . فى إلحاح . . .
إن « المزه » المخصصه لهذه السهره . : كانت قد أوشكت على : : الانتهاء . . .
وهنا . . . يجب أن تقال الحقيقة كاملة . . : حول نشأة الفكرة . . وتطورها . : . استغرق الأمر . . . نقاشاً عميقاً . . . وحواراً نظرياً . . . وعلمياً . . . استهلك جزءا غالياً من الوقت الذهبى . . . فى هذا التاريخ . . .
وأوشكت المناقشات حول هذه الفكرة . . . أن تتوقف بعد أن تبين أن هناك . . . افتراضاً . . . بأن اللحم البشرى المتوف قد لايكون صالحاً كـ « مزة » مع ذلك الويسكى الاسكتلندى . . .
المناقشة . . . مستمرة : . . وقطع من اللحم البشرى المتوف . : : تواصل تساقطها . . . مع إيقاع الكرابيج . . . الذى لايريد أن يتوقف . . .

وعلى الفور . . .

وبقدرة فائقة على الابتكار . . . الفورى . . . السريع الخلاق . . طرحت فكرة . . . بديلة . . . وعاجلة . . .

لماذا لايقوم « الواد الدكتور » . . « نفسه » . . بأكل لحمه « بنفسه » . . . ؟ ؟

حتى يمكن أن يكون هو الحكم الأساسى على ما هية طعم لحمه هو شخصياً . . . وفى هذا تعميق لمفهوم الديمقراطية . . وحرية الفرد فى أن يحكم هو بنفسه . . . وبشكل إرادى . . . بحت . . . دون تدخل . . . وبلا مؤثرات خارجية . .

وتصدر الأوامر « الواد الدكتور » . . . بأن يأكل لحمه . . . بنفسه . . . وبأن يقدم تقريراً عاجلا عن طعمه . . . ومذاقه . .

صدقونى . . .

وأنا أختصر لكم . . . حقيقة ما حدث . .

كيف يستطيع الإنسان أن يتذوق طعم لحمه المتساقط من ضربات الكرابيج . . . ؟ ؟

اعترف . . . ان هذا سؤال . . . بالغ الصعوبة . .

ولكن الحقيقة . . .

أن هذا « الواد الدكتور » الذى أرغم . . فى تلك الليلة على تذوق لحمه . . . بنفسه . . .

استطاع بعد أن استخدمت معه . . . كافة وسائل العلم . . والتكنولوجيا الحديثة . . . أن يحدد . . هذا الطعم . . وهذا المذاق . . .

فى تلك العبارات الدرامية الدامية . . . التى اختتم بها المشهد . . . على النحو التالى . . .

« ياسلام . . ده . . . لذيذ . . لذيذ . . لذيذ جداً . . ياسعادة البيه

ده . . لذيذ خالص . . ياسعادة البيه . . . دوقوا . . .

دوقوا . . والنبى ياسعادة البيه . . . دوقوا . . . دوقوا . . .

علشان تصدقونى . . . ياسعادة البيه . . .

وظل يردد . . .

لذيذ . . . دوقوا . . . لذيذ . . . دوقوا . . . لذيذ . .

علشان تصدقونى . . . دوقوا . . . لذيذ . . . ياسعادة البيه . . .

لذيذ . . صدقونى . . ياسعادة البيه »

ظل يردد الكلمات . . .

وهو يعوى . . ويضحك . . ويبكى . . . ويتلوى . . . فى وقت واحد . .

ودون أى فاصل . . . بين العواء . . والبكاء . . . والتلوى . . والضحك . .

ولحظتها . . . وبعد أن تأكدت « طاعته » لسلطنة الكرابيج . . . لم يعد حاجة . . . إلى تصريح خاص . . . بالعواء . . والتلوى . . . والضحك . . والبكاء . . . .

تقديراً من السلاطين . . . لمشاركته الإيجابية . . . فى هذه التجربة العلمية . الجديدة . . المبتكرة . . . الرائدة . . . فى التذوق . . .

مرة أخرى . . .

معلرة . . . يا اخونى . . .

فالقصة . . لم تنته . . . بعد . . .

تمر : . الليالى : : . والأيام . . . بطيئة . . . بطيئة . . . متثاقلة . . . كئيبة كئيبة . . موحشة . . .

ولكنها أيضاً . . . غادرة . . .

والدليل على غدر الأيام . . .

إن أحد المخمورين الثلاثة . . . الذين أشرفوا . . . على حفل « التذوق البروتينى . . . سالف الذكر . . .

وقع هو الآخر : : : فى مصيدة الفيران . . .

وقبل أن تمر سنوات ثلاث . . . على حادث « التذوق » البروتينى المشئوم ..

ويتم التحفظ على « الذئب» : : : داخل « مصيدة » تقليدية . . .

وترتفع صيحات : : : وتهليل الضحايا . . . من وراء قضبان المصايد . . .

فواحد من جلاديهم الكبار . . . قد أصبح يشاركهم حياة . . . مصايد الفيران . . . وتعلو : : : هذه الصيحات . . . لكى تلف المكان كله . . . تلفه بغلالة رهيبة : : : من الزئير البشرى . . . الجائع : : . للحرية : : : للحياة . . .

والذى : : : لم يتزعزع . . . أبداً . . . إيمانه . . . بعدالة السماء . . .

ويتزايد الطنين البشرى المزعج . . . يوماً . . . بعد يوم . . . ويتكوم الذئب الكبير المعروف : : : فى ركن من المصيدة . . . التى خصصت لإقامته . . .

وتبدو أصوات الضحايا : : له : : وكأنها مطارق تهشم رأسه العبقرى . . .

ورغم الرحلة الطويلة فى انتهاك الإنسان . . .

إلا أنه : : : امتنع عن الطعام . . .

ويعيش المسكين أزمة رهيبة . . .

لا يعنينا . . . هنا : : : الآن : . . الدخول فى تفاصيلها . . .

ويمر أربع وعشرون يوماً : : : على بدء الامتناع عن الطعام : . :

ولم يحدث فى لحظة واحدة . . . من لحظات الأربع والعشرين يوماً : : : أن تركته أشباح العذابات دون أن تعربد : : : فى داخله : : :

والطنين البشرى المزعج : : : وكأنه مطارق قاسية : : لاترحم : : تهشم رأسه العبقرى : :

وفى الليلة : : الخامسة والعشرين : : : يبدو وكأنه على وشك : : أن يفارق الحياة : : : نهائياً : : : و إلى الأبد . . .

ليته ::: يرتاح ::: يهرب من الجحيم الذى أشعله غدر أصدقائه :: فى داخله:.. وكيف يهرب ::: ؟؟ والمصايد ... صنعت خصيصاً ... وبإحكام ... حتى لا يهرب الفئران :::

والموت ::: حتى الموت ::: لا يريد أن يجىء :..

ويتنبه ::: حراس المصايد ::: إلى خطورة ::: الحالة ::: حالة الذئب الذى كان فى يوم من الأيام وقبل أن يغدر به الأصدقاء .:. واحد من أخطر ::: وأكبر حراس المصايد :::

إن زمالة ورفقة الحراسة ::: تحتم عليهم انقاذه ::: وبأى ثمن :::

وهذا ::: ما تفرضه ... واجبات ::: وحقوق الزمالة ... فى خدمة حراسة المصايد :::

كان ::: لا بد من استدعاء طبيب ...

وفى هذا الوقت بالذات :::

ولم يكن هناك طبيب رسمى مقيم ..

وكان من الضرورى ... أن يتم استدعاء ... أى طبيب ...

ويقترح أحد الحراس استدعاء ...

واحد من الأطباء ... الذين تمتلىء بهم « المصايد » فى نفس المكان ...

ويبدو أن هذا العالم بالفعل ... أصغر كثيراً ... ... مما نتصور ... ومما علموه لنا فى المدارس ... والجامعات ... والدليل على هذا ...

أن القدر ... اختار لنا ... نفس « الواد الدكتور » ... الذى شارك بايجابية ... منقطعة النظير ... فى أول تجربة علمية جديدة مبتكرة ... ورائدة ... فى التلوق ... تلوق ... اللحم البشرى ...

اختاره ... القدر ... بالذات ... لكى يقوم بنفسه ... بانقاذ حياة جلاده ... الذى ... لن ينساه ... مدى الحياة ...

أصارحكم ... يا أعزائى ... فى أى مكان ... إن هذا اللقاء ... القدرى ... يحتاج إلى قدرة ... لا امتلكها ... لتصوير مشهد اللقاء ... بدقة كاملة ... المشهد ... أكبر ... وأروع بكثير من أن يصفه ... قلم ... أى قلم ... مهما بلغت براعة وعبقرية ودقة هذا القلم ... فى الوصف ...

ولهذا ...

ولأننى عاجز عن الوصف الدقيق ... سأترك لخيالكم ... حرية تصور ... هذا اللقاء ... اللقاء ... الذى تم فى « مصيدة » يطلقون عليها مصيدة « التأديب » ... مساحتها ... متران فى مترين .

مصيدة أشبه بالجب ... لا يدخلها الهواء ... أو ... النور ... صديقك الوحيد فيها جردلان ... أحد الجردلين ... به قليل من الماء ... والثانى ... تلقى فيه ... بكل ما يخرج منك ... بعد أن تنتهى معدتك من عملية الهضم المتوالية ...

فى باب المصيدة ... طاقة صغيرة ... تكفي لعين الحارس ... التى لا تكف عن مراقبتك ...

ثم يغلق الحارس الطاقة ...

فتتحول المصيدة ... إلى قبر ...

تشم فيه رائحة العدم ... والموت ... والفناء ...

ويفتح الحارس باب مصيدة « التأديب » ...

الذئب مكوم فى ركنها الأيسر ...

و « الواد الدكتور » ... يدخل مع الحارس إلى المصيدة ... « الواد الدكتور » ... وينظر إلى هذه ... الكومة المكورة ...

يتقدم ... نحوها ...

ينحنى ؛ ليفحصها ...

يتحسس ... نبضها ...

ولا ينطق ... بشيء ...

فى عينى بقايا الذئب ... المتهالك ... الذابلة ... ألف ... معنى ... ومعنى ...

وفى عينى « الواد الدكتور » ... معان ... ومعان ... ومعان ...

وفوق كل ما هو دنيوى ... وحقير ...

يطلب « الواد الدكتور » زجاجة من « الجلوكوز » ... وأخرى من « محلول الملح » ... وجهاز للوريد ...

ويتولى بنفسه ... تركيب الجهاز ...

ويبدأ « الجلوكوز » ... « ومحلول الملح » يسريان فى بطء ... فى وريد بقايا الذئب ... المنهك ... منذ أربع وعشرين يوما ...

وتدب الحياة ... فى عيون الذئب ...

لسانه ... يريد أن يتحرك ... ويحاول أن ينطق ... بشيء ...

ويبذل جهداً ... واضحاً ... لتخرج ... الكلمات ... متلعثمة ... ومكدودة ... متناثرة ...

... س ... ا ... م ... ح ... نى ... يا ... د ... ك ... ت ... و ... ر ... أنا ... عا ... ى ... ز ... أ ... مو ... ت ... و ... أر ... تا ... ح ...

وينظر إليه « الواد الدكتور » ... ويضع نهاية للقاء ... !

« من فضلك ... لا تجهد نفسك » ...

« لا أرغب فى سماع شيء » ...

« أنت هنا ... مجرد مريض ... وأنا مجرد طبيب » ...

واستبدت « بالواد الدكتور » رغبة أن يقول للذئب ...

لن يدعك أحد تموت ...

لأن الجميع ... يريدونك ... حياً ...

يجب ... أن تفهم ... ويفهم غيرك ...

إننا نحن الاثنين ... كلانا الآن ... يعيش فى مصيدة من آلاف المصايد ... التى ساهمت فى صنعها ... مع أولئك الذين ... أذابوا ... فيك الانسان ... وأطلقوا للغول العنان ... يعربد ... ويدمر ... ويسحق كل شيء ...

ولكنه تذكر ... أنه الآن ... وفى هذا المشهد المأسوى ... مجرد طبيب ... يؤدى واجبه الانسانى ... نحو مجرد مريض ...

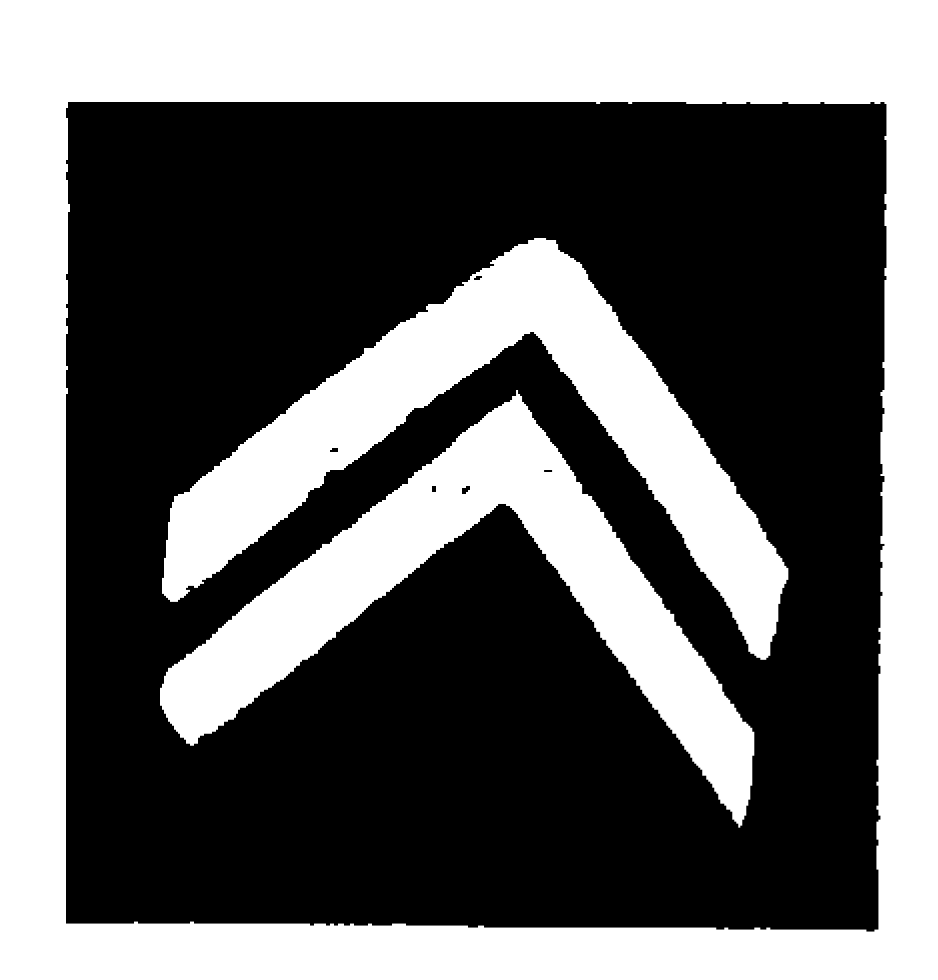
فتوقف ... عن الكلام ...

وتسرى قطرات «الجلوكوز» ... «ومحلول الملح»
::: فى وريد الامبراطور المخلوع ...

بينما تسمع خطوات «الواد الدكتور» ... وهو يسرع الخطى ::: مع حارسه ::: إلى مصيدته الخاصة ::: بالدور الرابع ::: فى العنبر رقم واحد ...

بينما ::: تأملاته ::: فيما يدور حوله ... لا تفارقه ... وأفكار ::: جديدة ::: أخذت تتبلور ::: وتزداد ::: وضوحاً ::: وضوحاً ::: وتوهجاً ::: بالرغم من النصائح اليومية لوالدته «الحاجة» ::: بضرورة تجنب ::: التأمل ::: والتفكير ... مجرد ::: التأمل الصامت ...

ومجرد التفكير ... بصوت خافت ... وغير مسموع ...





● سيدتي .. احذري ان تكوني .. لطيفه ..! ●

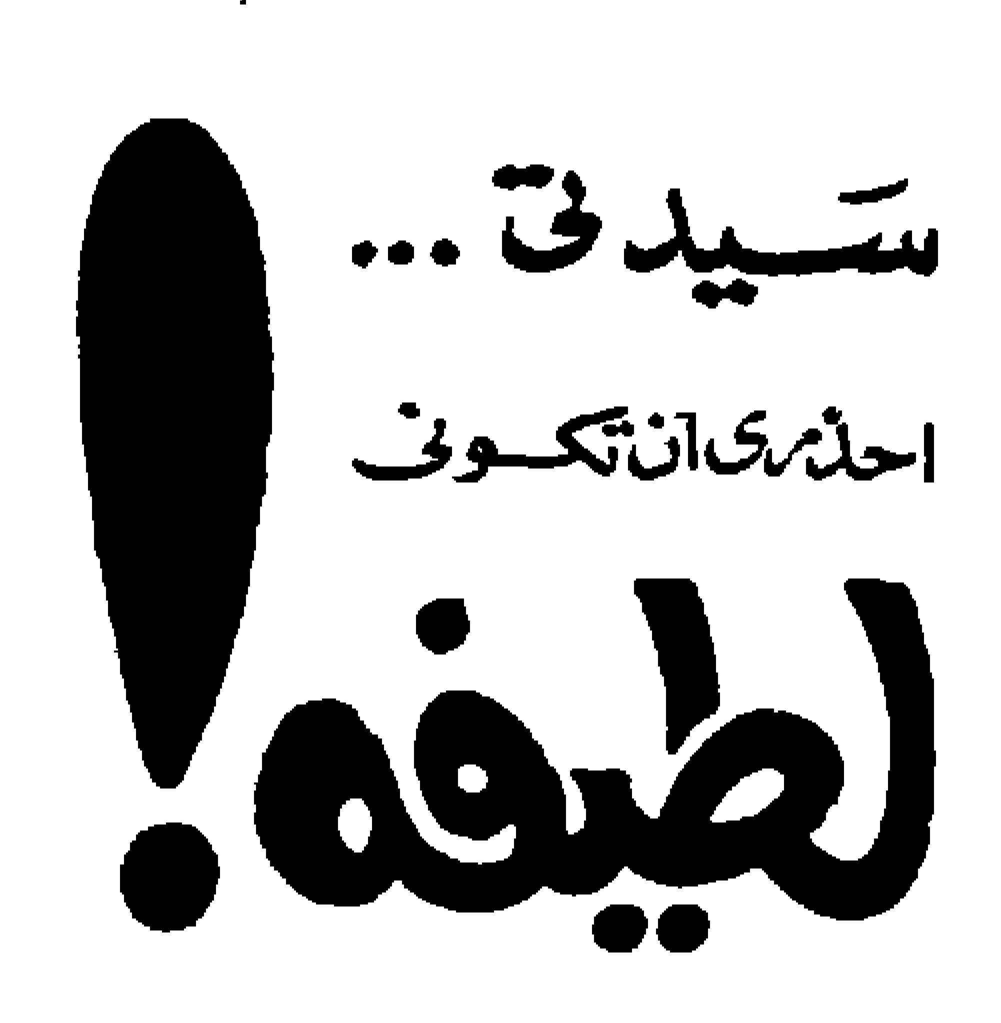
سيدتى ...

احذرى ان تكونى

لطيفه!



● وقسمت الناس الى « مجموعتين » ... مجموعة منهم « مخطوفين » وراء الأسلاك .. ومجموعة أخرى .. فى انتظار دورها الى .. ما .. وراء الاسلاك ... وتتمنى الساعة التى يأتى فيها دورها .. لياخذوا جسدها .. مع حبيبها .. حتى تعيش .. حياة كاملة .. بقلبها .. بروحها .. بجسدها .. مع حبيبها .. حبيبها الذى « اختطفوه » ذات «فجر» .. وحشى ...!! ●



الذين ... دعوا ::: إلى حفل « خطوبتها » ... كانوا يشعرون ... أنها لم تكن ... تمشي على الأرض ... إنما كانت تطير أشبه بفراشة ...
ترفرف بجناحيها الجميلتين ... وتتمايل ... في خفة ... ونشوة ::: ودلال ...

كانت الفرحة تغمرها ... ولم ... لا ... ؟؟ ... وقد صار حبيبها الذي عاشت معه ::: أحلى قصة حب ... خطيباً لها ... أمام عائلتها ::: وأمام صديقاتها ::: وأمام الدنيا كلها ... ؟

وانتهت أيام « الخطوبة » سريعة ... وتم الزفاف ...

وكان كل من يراها ... بعد أن أصبحت زوجة ... يشعر أيضاً ... أنها تكاد أن تطير من السعادة ...

لم تحس لحظة أن عريسها مجرد زوج ... وأنها بالنسبة له ... مجرد زوجة ...

كانت تحس ... وهي تغمره بحنانها ... أنها أمه ...

وكانت تشعر ... وهي تعامله باحترام وود ... أنها أصغر شقيقاته البنات ...

وكانت تذوب ... وهي تعانقه ... وتضمه إلى صدرها ... كلما عاد إلى البيت ... وكأنها حبيبة عمره ... الأولى ... والأخيرة ...

كانت تشعر أنها تحبه إلى القدر ... الذى يبيح لها ... أن تفنى فى ذاته ...

ولم يحس هو أيضاً لحظة ... أنها مجرد زوجة ... وأنه بالنسبة لها ... مجرد زوج ...

كان بالنسبة لها ... الأب ... والشقيق ... والحبيب ... وأخيراً ... الزوج ...

ولم تكن تفعل شيئاً فى حياتها ... إلا وهى تفكر فيه ...

لم يكن فى حياتها شىء ... إلا قصة حبها ... مع المهندس الشاب ...

وإلى هنا ... والقصة عادية ... مثل آلاف قصص الحب ... التى تنتهى أو تبدأ عند المأذون ...

وذات فجر ...

اقتحم « عشها » الهادىء السعيد الجميل ... زائر الفجر الوحش ...

ولم يترك عشها ...

إلا بعد أن سلب زوجها ...

وأخذ معه حبيبها ...

كادت أن تجن ...

بحثت عن حبيبها ... فى كل مكان ...

سألت ... كل إنسان ... قابلته عن مكانه ...

زائر الفجر ... كان قد أخبرها ... أنهم يحتاجونه ... بضع دقائق ... وسيعود غداً ...

فلماذا ... لم يحضر حتى الآن ... ؟؟

حاولت أن تمارس حياتها ... وتنتظره ... حتى يعود ...

ولكن كيف ... ؟؟

لقد كان هو حياتها ...

فكيف تكون ... هناك حياة ... بدونه ... ؟؟

كل شيء ... حولها ... يذكرها ... به ...

المكان ... الأشياء ... الناس ...

بصماته ... صورته ... فى كل جزء من حياتها ...

كانت روحها ... تهفوا إليه ... وتتخيله ... وقد عاد إليها فجأة ... مثلما اختفى ...

ثم تفيق من أحلامها الوردية ... لتجد نفسها ... وحيدة ... خائفة مرتعدة ... من شيء رهيب ... اسمه ... المجهول ...

نعم ... لقد كانت تفقده ... بالقدر الذى أحست معه ... أنها توشك أن تموت ...

وتملكها اليأس ...

ولكنهم ... أخبروها .. أنها تستطيع زيارته ...

من وراء الأسلاك ... أوقفوه لتراه ...

كانت عيناه ... حزينتين ... ووجهه يبتسم لها ...

أحست بمدى عذابه ... دون أن يتكلم ...

تمنت ... لو تركوها معه ... وراء الأسلاك ...

لتستطيع أن تمنع عن عينيه ... هذا الحزن الصامت ...

الذى لم تره فيهما ... من قبل ...

قالت له عيناها ... : كم يسحقنى الشوق ... والحنين ... إليك ... ؟؟

وقالت لها عيناه ... ! ما أقسى أيامى ... وأنا بعيد عنك ... ؟؟

وانهمرت دموعها ... صامتة ... حارة ... ساخنة ...

وانتهت الخمسة عشر دقيقة ... وهى كل الزمن ... المحدد للزيارة ...

انتهت الدقائق ... وكأنها غمضة عين ...

وعادت ... من الزيارة ... وقد صممت ... الا تترك باباً ... إلا وطرقته ...

حتى يعود إليها ... حبيبها ... الذى يذوى ... بعيداً عنها ... وتموت هى بعيدة عنه ...

فهو لم يرتكب شيئاً ...

كل ما تعرفه عنه ... أنه إنسان يحب بلاده ... مخلص فى عمله ... يكره أن تبدد ثروات البلاد ... فى مغامرات لا ناقة لنا فيها ولا جمل ... يؤلمه أن تتزايد الرشوة والاختلاسات والمفاسد ... يمزقه ... أن يتصرف من أوكل إليهم أمر عصب الحياة الاقتصادية ... وكأن هذه القطاعات ... «عزب» ... وضياع ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ...

لم يحمل مسدساً ... أو مدفعاً ...

لم يكتب ... أو يقرأ ... منشوراً ...

حتى الصحف المعادية لبلاده ... يرفض قراءتها ...

لم يشترك فى أى عمل سياسى ... أو ينضم إلى أى جماعة منذ أن كان طالباً بكلية الهندسة ...

مجرد ... آراء ... وأفكار ... تعيش فى تلافيف ... عقله ... وينطق بها لسانه ...

كلما سأله أحد عن الحالة ...

فلماذا ::: خطفوه ::: ووضعوه ... هناك بعيداً عنها ...

حتى يذوى ::: هو ::: وحتى ::: تموت ::: هى ::: ؟؟

لماذا ::: ؟؟ لماذا ::: ؟؟

وبدأت ::: رحلة عذابها اليومية ... أمام المكاتب ...

كتبت عشرات الاستغاثات ...

قابلت عشرات من بيدهم مقدرات العباد ... صغارهم ... وكبارهم ...

ثارت ::: واستعطفت ::: انفجرت غاضبة ::: وانكمشت باكية ...

ما أقسى الانتظار ::: حينما تمر الأيام متثاقلة ::: عرجاء ::: لا طعم لها حقا ::: لم يكن ::: للأيام طعم ...

قال لها حبيبها ::: يوماً ::: : يجب أن تهتمى بصحتك ... ؟؟

تطلعت إليه طويلا ::: ثم قالت له :

لا طعم للأشياء ::: بدونك ::: ياحبيبي ... ولا أشعر للطعام برغبة ... لا أشعر حتى بالرغبة فى استمرار الحياة ::: وحاجز من الأسلاك والقضبان ... يفصل بينى وبينك :::

قال لها حبيبها ::: إنها إذا كانت تحبه حقاً ... فمن الضرورى ... أن تهتم بصحتها ::: ومأكلها ::: ولو من أجله هو ::: وحتى تصمد إلى جواره ... فى محنته :::

وشجعتها كلماته ...

وأسعدها ::: أنه حتى ... وهو وسط المأساة ... ما زال يحتفظ ... بروئيته المتفائلة ...

وبدأت ... تتصل بأسر « المخطوفين » ... وتشترك معهم ... فى تحرير الاستغاثات الجماعية ... وتقابل معهم من بيدهم ... مقدرات العباد ... صغارهم ... وكبارهم ...

أصبحت تحس ... أن صداقة عميقة ... تربطها ... بكل مخطوف ...

وإن عاطفة جياشة ... تشدها ... إلى كل أم « مخطوف » ... وكل زوجة « مخطوف » ... وكل أخت « مخطوف » ... وكل ابنة « مخطوف » ... ولم تجد تفسيراً ... لاحساس جديد غريب ... أخذ يسيطر عليها ...

فقد أصبحت ... تحس ... أن كل إنسان ... تراه ...
إما أنه سبق أن « خطف » أو فى طريقه إلى أن « يخطف » ...
فى يوم ... ما ...

وقسمت الناس إلى مجموعتين مجموعة منهم ... (مخطوفين)
... وراء الأسلاك ... ومجموعة أخرى ... فى انتظار دورها ...
إلى ما وراء الأسلاك ...

وهى نفسها ... تعيش بقلبها ... وبروحها ... وراء الأسلاك ... وتعيش ... بجسدها ... خارج الأسلاك ...

وتتمنى الساعة التى يأتى فيها دورها ... ليأخذوها ...
جسدها أيضاً وراء الاسلاك ... حتى تعيش ... حياة كاملة
... بقلبها ... بروحها ... بجسدها ... مع حبيبها (الذى
اختطفوه « ذات فجر وحشى » ...

أصبحت تعيش من أجل الناس جميعا ... من خلال دفاعها عن حبيبها ... بدأت تشعر ... أنها يمكنها ... أن تستمر فى الحياة ... انتظاراً لخروجه ... ودفاعاً عنه ... حتى يعود إليها ...

ولفها شعور بالارتياح ... وهي ترى ... نظرات التقدير ... في عيون الناس ...

كان الجميع يحترمونها ... ويبدون إعجابهم ... بهذه الزوجة الشابة الجميلة الصامدة ...

وأمدها تقدير الناس ... بشحنة ... أعانتها على مواصلة رحلتها اليومية ... من أجل حبيبها ... ومن أجل كل « المخطوفين » وتفتحت عيناها ... على جزء من ... العالم الغريب .. الذي يقع وراء الأسلاك من خلال مأساة زوجها ...

وتعجبت ...

كيف كانت ... لا ترى ... من قبل ... شيئاً من هذا كله ... ؟؟

واستمرت ... في رحلتها النشيطة المثابرة ... اشتراكاً مع عدد من امهات ... وزوجات ... وأخوات ... « المخطوفين » ...

ذات يوم ...

وبعد أن انتهت زيارتها للزوج ...

وقفت تبحث وسط شمس يوليو الحارقة ... عن وسيلة ركوب ... تعيدها إلى عشها ...

واشتدت حرارة الشمس ... ولا اتوبيس ... ولا تاكسي ... يظهر في الأفق ...

ثم جاءت سيارة ... تركب فيها إحدى السيدات ... ووقفت السيارة .. إلى جوارها ... وعرضت عليها السيدة ... أن توصلها معها ...

وركبت ...

وكالعادة ... بين النساء ... بدا الحديث ...

وعرفت منها ... أنها أيضاً زوجة أحد « المخطوفين » ... ولكن زوجها في مكان آخر ... فأماكن إقامة « المخطوفين » ... كثيرة ومتفرقة ...

وأخذت منها عنوانها ... واتفقت السيدة معها ... على أن تزورها ... في أقرب فرصة ... لكي يتناقشا ... في أمورهما المشتركة ...

ولم ... لا ... ؟؟ ...

والزوجان ... مخطوفان ... ؟؟؟

والزوجتان ... حائرتان ... ؟؟؟

بعد أيام ... جاءت السيدة ... لزيارتها ... كانت تبدو أنيقة للغاية ... وتعاملها ... بأخوة ... وتعاطف ...

وأحست السيدة ... بمقدار الحب الهائل ... الذى تكنه الزوجة الشابة الجميلة ... لزوجها الشاب « المخطوف » ...

وسألتها ... عما فعلته ... لكي تستعيد زوجها ... ؟؟

فحكت لها كفاحها اليومي الطويل ... وحدثتها عن حالة التعب واليأس ... التي بدأت تنتابها ... دون أن تظهر ... في ... الأفق ... بارقة أمل ...

ونظرت إليها السيدة . . . ملياً . . ثم قالت . . . وهي تربت على ظهرها في أخوة . . . وتعاطف . . وإشفاق . . .

: انت . . . ياحبيبتى . . . صعبانة على جداً . . . ومن ساعة ما شفتك وأنا قلبي حبك . . . لأن باين عليك . . . انك طيبة . . . ومش وش مرمطة . . . علشان كده . . . لازم أكون صريحة معك جداً . . . بصراحة . . . الطريق اللى انت ماشية فيه ده . . . مستحيل حيوصلك لحاجة . . . ومستحيل يرجع لك جوزك . . . بالعكس حيخليه عمره كله بعيد عنك . . . ومين

هارف . . . يمكن كتر الدوشة اللى بتعملها . . . يقتلوه . .
زى ما قتلوا غيره . . .

وما أن سمعت الزوجة عبارات . . .

يقتلوه . . . زى ما قتلوا غيره . .

حتى صرخت . . .

: يقتلوه . . . يقتلوه إزاى . . . هى المسألة سايبة . . . هى حياة الناس سهلة للدرجة دى . . ليه هو احنا عايشين فى غابة . . . ؟ ؟

وترد السيدة وهى تهدىء من روعها . . .

: انت أصلك صغيرة . . . يادوبك سنك ما يتعداش اثنين وعشرين سنة . . وعلشان كده . . مش فاهمه حاجه أبداً ، ومش قادره تفهمى انهم بيعملوا أكتر من كده .

: فيه . . أكتر من الخطف . . . ومن القتل . . ؟ ؟

: حاجات كتير . . . مستحيل حتقدرى تفهميها وتصدقيها . . .

وتسأل الزوجة فى استسلام يائس :

: طيب . . . واعمل إيه . . . ؟ ؟ ؟

: ح أقول لك . . . على اللى عملته أنا بنفسى . . . ومن غير ما اعمل كده . . .   جوزى فضل « مخطوف » عشر سنين . . . عملت أكتر من اللى انت بتعمليه دلوقت عشر مرات اتبهدلت . . واتمرمطت بعت عفش بيتى ومصاغى . . . انطردت من الفيلا اللى كنا ساكنين فيها أنا والعيال . . لأنى ما اقدرتش أدفع الإيجار . . . نمت ليالى كتيرة من غير عشاء . . . لأنى مكنش عندى فلوس أشترى أكل لى . . . وللأولاد . . منعت

الأولاد من المدارس ... علشان معنديش مصاريف لهم ...
وشغلتهم صبيان فى ورش وفى محلات ... كان ناقص
أحرق نفسي وأحرق ولادى معايا علشان ما أسبهمش لوحدهم
عنادهم ... بيزيد ومفيش فايدة ... كل ما اشتكى ... يزيد
يتعذبوا ... ...

واحترت ... أعمل إيه ؟ ؟ أكتر من الحيرة اللى انت
عايشة فيها دلوقت ... لغاية ما ربنا رزقنى بواحدة بنت حلال
دلتنى على الطريق الصحيح ... ونفذت كلامها بالضبط ...
مفيش أسبوع واحد ... رجع لى جوزى ... ورجعوه
لشغله ... فى وظيفة أحسن وأرق بيكسب منها ذهب ...
وربنا عوضنا عن أيام الفقر والجوع والقرف ..

كانت الزوجة تسمع كلام السيدة ... وتسرح بخيالها مع عبارات ...

جوزى فصل مخطوف عشر سنين ...

بعت عفش بيتى ومصاغى ...

انطردت من الفيلا اللى كنا ساكنين فيها ...

نمت ليال كتيرة من غير عشا ...

كان ناقص أحرق نفسى وأحرق ولادى معايا ...

كل ما اشتكى يزيد عنادهم . ويزيد تحطيمهم له ... لغاية ما رزقنى
بواحدة بنت حلال ...

مفيش أسبوع واحد .. رجع لى جوزى ..

ووجدت نفسها فى لهف على ان تسأل السيدة .. !

! وإيه .. هو الطريق الصحيح ...؟؟

: توعدنى . . . تحافظى على السر : : ومتقوليش عليه
حتى لجوزك ؟
: أوعدك . . .
: على أى حال . . . أنا عايزه مصلحتك لأنك صعبانه
على . . ومش عايزه تشوفى اللى أنا شفته . . وتدوقى اللى أنا دقته

مش مهم أنا ... أنا مستعدة أعمل أى حاجة ... بس يرجع جوزى ... ولا يقتلوه ... زى ما عملوا فى غيره ...

وحدثتها السيدة عن الطريق السحرى العجيب ... الذى يعيد الأزواج « المخطوفين » ...

حدثتها عن « شخصية » هامة ... لو استطاعت أن تلتقى بها ... (وتتفاهم) معها لعاد زوجها « المخطوف » ... إلى منزله على الفور ...

وسألتها الزوجة ...

من تكون هذه « الشخصية » الهامة ؟

فقالت السيدة :

أنها شخصية عظيمة ...

وإن كل المطلوب منها ... لكى تساندها ... هذه الشخصية العظيمة فى موضوعها ... أن تكون فقط ... (لطيفة) ... فى اللقاء الذى يمكن أن تدبره السيدة ... إذا ما وافقت الزوجة ... وأخذت الزوجة ... تواصل اسئلتها ... حول هذه الشخصية « المعجزة » التى يمكنها أن تعيد إليها ... حبيبها « المخطوف » ... والسيدة ... تؤكد لها أنها شخصية عظيمة ... وهامة ... وخدومة جداً ... وليس مطلوباً منها شىء ... أكثر من أن تكون (لطيفة) معه ...

— : وكلام شرف . . . حتلاقى جوزك . . . بيدق جرس
جرس الشقة فى الصباح ... ولا من شاف ولا من درى » :

وفى غمرة خفتها ... على عودة زوجها الغائب ... نسيت أن تسألها !
ما الذى يمكن أن يجعل مثل هذه الشخصية تتحمس لخدمتى بمجرد أن أكون لطيفة ...

مثل هذا السؤال ... وغيره من الأسئلة ... لم يخطر على بال الزوجة ... التى لم يكن يشغلها سوى شىء واحد ... ألا تترك طريقاً ... يعجل بعودة زوجها ... إلا واتبعته ..

و ...

ووجدت نفسها تتردد ...

رغم ما تعرفه عن نفسها ... بأنها مندفعة ... فى كل شىء ... لا تعرف شيئاً اسمه الوسط ...

مندفعة فى حبها ... وفى كراهيتها ...

مندفعة فى رضاها ... وفى غضبها ...

مندفعة فى كرمها ... وفى منعها ...

تعيش دائماً بعاطفتها ... وبقلبها ...

وكم اوقعتها هذه العاطفة فى مآزق عديدة ...

وعجبت من نفسها ... كيف تتردد ... وفى هذا الأمر بالذات ... ؟!

شىء فى داخلها ... يدق أجراساً ... تحذر ... وتحاول أن يبعد شبح فكرة الطريق « السحرى » ... والرجل « المعجزة » ... من فكرها ...

وأحست السيدة ... بما يدور داخل الزوجة ... فيوقف اندفاعها ... وحماسها ...

فاتهمت الزوجة ... بالأنانية ... وبأنها لا تحب زوجها ...

فلو كانت تحبه حقاً ... كما تزعم ... لما بخلت على حبيبها ... بهذه ... التضحية البسيطة ... من أجل عودته ... وإنقاذ حياته ...

وتحت سياط الاتهام « بالأنانية » ... وبأنها لا تحب زوجها ... « وبخلها » على حبيبها بهذه التضحية البسيطة ... من أجل عودته ... وإنقاذ حياته ...

عاودها ... اندفاعها ...

وتجاهلت ... أجراس الأنذار التى تعوى ... فى داخلها ...

ووافقت ...

وحددت لها السيدة موعداً ... مع هذه « الشخصية » الهامة ...

وذهبت ... ومعها السيدة ...

حدثته عن حبها ... عن الفترة الذهبية التى عاشتها من حياتها معه ...

وكيف اختطفوه ... ؟ ؟

وكم يمزقها الشوق ... والحزن إليه ... ؟ ؟

وطمأنتها الشخصية الهامة ... فى ثقة بالغة ... أن زوجها ... سيكون فى منزله قريباً جداً ... وأنها مجرد إجراءات شكلية تنتهى ...

وبعدها ستفاجأ فى الصباح بزوجها يدق جرس الشقة ... ويعود إليها ... لتستأنف معه أيامها الذهبية ... ولياليها الوردية ...

وطلب منها ... أن تمر عليه ... بعد أيام ...

ولم تذهب معها السيدة ... هذه المرة ...

ذهبت بمفردها ...

وطلب منها أن تكون « لطيفة » وملحلحة وبلاش عقد ... فقد أوشكت الاجراءات الروتينية على الانتهاء ... !!

وحتى لا تتهم نفسها ... بأنها أنانية ... بخلت على زوجها بتضحية بسيطة ... حتى يعود ... وحتى تنقذ حياته ...

اضطرت أن تكون ... لطيفة ...

وهى تمتلىء بالغثيان ... من كل شىء ...

وخرجت ... وهى لا تستطيع أن ترى الطريق ...

ودموعها ... تحجب عنها الرؤية ...

ويجىء ... أكثر من صباح ...

والزوجة الساذجة ... تنتظر جرس الشقة أن يدق ...

والزوج المخطوف ... أن يعود ...

ولكن الجرس ... لا يدق ...

والزوج ... لا يعود ...

وتذهب ... إلى الشخصية الهامة ... تسألها عما فعلته من أجل الزوج الغائب ...

وطمأنتها الشخصية الهامة ... !

لقد فات ... الكثير ... ولم يبق ... إلا القليل ...

و يبدو ... أن الشخصية الهامة ... كانت أقرب إلى الصدق ... فى جملتها الأخيرة ...

فبالفعل ... لم يبق إلا القليل ... أو بالاحرى ... لم يبق ... شىء ...

فقد توالى إيقاع الأحداث ... المثيرة ...

قبل يوم واحد ...

من الموعد المحدد ... لزيارة زوجها ...

دق جرس الباب ... فى الصباح ...

ودق معه قلبها ... دقات عنيفة ...

إذن لقد تحققت المعجزة ... ؟؟؟

وصدقت الشخصية الهامة العظيمة ...

ها هو جرس الشقة يدق ... وفى الصباح ...

لا بد ... أن حبيبها ... هو الذى يقف بالباب ...

مستحيل ... أن تجعل حبيبها ينتظر ... حتى ...

تشطف يديها من الصابون الذى تغسل به الاطباق ...

كفى ... حبيبها انتظاراً وراء الاسلاك ...

ووجدت نفسها تجرى ... مندفعة نحو الباب ...

ودموع الفرحة تحجب عنها رؤية أى شىء ...

فهى ليست فى حاجة إلى أن ترى شيئاً ...

يكفى أن صورة حبيبها تراها فى خيالها ... وفى قلبها ...

وفتحت الباب ...

واندفعت تلقى بنفسها فى أحضان الواقف بالباب ...

تضمه ... إلى صدرها ... فى قوة ... وحنين جارف ...

وأفاقت المسكينة ... على صوت غريب أجش :

— : مش معقول ... كده ياست هانم ... ؟؟؟

: حاسبي على ... حتفطسيني ...

كادت تهوى ... خيبة ... وخجلا ...

لكنها تماسكت ... وسألت مندفعة ... أيضاً ... وكأنها تدارى خيبتها وخجلها ...

- ! وحضرتك مين ... ؟ وعايز إيه ... ؟ وإيه اللى خلاك تدق الجرس الصبح ... ؟

وفى ارتباك شديد ... وحيرة أشد ... أفهمها ... صاحب الصوت الغريب الأجش ::: أنه أحد رجال الشرطة السريين ... وأنه مكلف بالمجىء إليها ليطلب منها التوقيع باستلام وثيقة طلاقها من المهندس (:::)

- ! مستحيل ::: مش ممكن ::: هذه حتما وثيقة مزورة ... مستحيل أصدق أنه (:::) يمكن أن يفعل هذا بمحض اختياره ؟؟؟

وظلت تصرخ بكلمات محمومة لا تدرى لها معنى ...

ورفضت استلام وثيقة طلاقها ...

وصفقت باب الشقة بعنف وعصبية فى وجه الرجل

وجرت داخل الشقة ::: وألقت بنفسها فوق سريرها ...

وأغرقت نفسها ::: فى عاصفة مجنونة من البكاء والنحيب ...

لم تصدق ::: أن حبيبها ::: أملها ::: حياتها ::: يمكن أن يفعل هذا ...

ظلت مقتنعة أن الوثيقة مزورة ::: وأنها مدسوسة ::: للإيقاع بينها وبين حبيبها ...

لا بد ::: أنهم قد أكرهوه على ... أن يطلقها رغم إرادته ...

وأصرت أن تذهب إليه ... فى الموعد المحدد لزيارته ::: لتعرف حقيقة الأمر ...

وهناك ...

فى الحجرة المخصصة ... لانتظار زوار « المخطوفين » ...

أدهشها ::: أن أمهات وزوجات وأخوات وبنات وأطفال المخطوفين زملاء زوجها يتحاشين الوقوف بجانبها ::: يتهربن منها ::: يشحن بوجوههن عنها ... ينظرن إليها ... نظرات مليئة بالاشمئزاز والاحتقار ...

— « مالكم ... يا جماعة ... خير ... ؟؟؟

كررت هذه الكلمات ... فلم ترد واحدة ..

وأخيراً ... انفجرت فيها « إحداهن » قائلة ...

— « ما تعرفيش مالنا ... ؟ وكمان بتستعبطى ... ؟

تقدرى تقولى ... ليه عملت كده فى نفسك ... ؟ وفى جوزك ؟ جوزك الشاب الشريف ... اللى كان كله ... صحة وشباب ... خلتيه أصبح مشلول ... فاهمه يعنى إيه مشلول ... ؟

وأخرجت ... ال ... « إحداهن » ... هذه صورة فوتوغرافية من حقيبة يدها وكأنها تطلق رصاصة إلى قلب الزوجة ...

— « شوفى صورتك ... يافاجرة ... كنا مخدوعين فيك وبنضرب بيك المثل ... أصبحت مثل لعارنا كلنا ...

وأخذت ... تصرخ ...

كفاية ... كفاية ... كفاية ... ؟؟؟

حرام عليكم ... حرام عليكم ... ؟؟؟

ثم ...

شعرت أنها تسقط فى قاع بئر عميق الغور ... بعيد القرار ... لا يمكنها الصعود منها ... على الاطلاق ...

ولم تستطع أن تفهم حقيقة هذا الذى يجرى ... فى هذا العالم ...

فوضعوها فى مستشفى الأمراض العقلية ..

ولم تستطع أن تفهم ... أيضاً ..

لماذا ... وضعوها فى مستشفى للأمراض العقلية ... ؟

وقد كان حلمها ... أن يعود إليها زوجها الحبيب ...

ولذلك فقد وجدت ... ذات صباح . . .

وقد أنهت حياتها ... بالانتحار شنقاً . . .

وماتت الزوجة الشابة الجميلة ... التى لم تبلغ من العمر ... أكثر من اثنين وعشرين ربيعاً . . .

ماتت دون أن تفهم شيئاً . . .

وكيف يمكن لذهنها ... التى لم تصقله السنين بعد ... أن يفهم هذه « التوليفة » العجيبة من « اللامعقول » . . .

كيف يمكن لها . . . أن تفهم . . .

أن هذه المرأة . . . التى زينت لها الطريق « السحرى » لاستعادة زوجها ... والتى اتهمتها بالأنانية ... لأنها تبخل على زوجها وحبيبها بتضحية بسيطة ... تعيده إليها ... وتصون حياته ولا من شاف ... ولا من درى ...

هذه المرأة ... لم تكن سوى « أفعى » من أفاعى كثيرة مدربة تعمل فى خدمة الشياطين ...

وأن الشخصية الهامة . . . التى بيدها مقدرات العباد . . . تأمر بالخطف ... وتأمر باعادة الابناء والأزواج والأخوة ... إلى بيوتهم ...

لم تكن هذه الشخصية الهامة . . . سوى . . . « قواد » كبير معروف . . . له سجل حافل فى شرطة الآداب ...

وأنه أيضاً أحد العاملين فى خدمة الشياطين ...

كيف يمكن لها أن تتخيل ...

أن المشهد الذى ملأها بالغثيان من كل شىء ... والذى أرغمت فيه على أن تكون لطيفة ... تم تصويره كاملا ... وهى عارية بين أحضان «القواد» الكبير المعروف ... وأن مجموعة من صور المشهد تم «تسريبها» وبطرق شيطانية خبيثة ... إلى بعض «المخطوفين» ... من زملاء زوجها ... وراء الأسوار ...

وقد كتب الشيطان على ظهر الصورة ... !

«مع تحياتنا إلى رجل المبادىء والمثل العليا والشرف المهندس (...)

«وإلى السيدة المصونة الصامدة ... رمز العفاف والشرف زوجته (...)

كيف يمكن للتعيسة ... أن تتصور ... ما حدث لزوجها ... قبل أن يوقع وثيقة طلاقها ...

في نفس اليوم الذى رأى فيه صورة «المشهد» ... أسرع وطلب استدعاء المأذون الشرعى ... ووقع وثيقة طلاقها منه ...

ولم يذق ... ليلتها ... للنوم طعماً ...

وخيمت سحابة من الكآبة ... والمرارة ... فوق وجوه ... كل «المخطوفين» فى هذا المكان ...

فقد كان كل واحد منهم ... يرى فى صورة المشهد ... «زوجته» ... أو «أخته» ... أو «إبنته» ...

وفى الصباح ...

حمل «المخطوفون» زميلهم المهندس الشاب ... ونقلوه إلى المستشفي ... وجسده الذى كان ممتلئاً صحة ... وقوة وشباباً ...

قد شل تماماً لم يعد فيه حراك ...

ووجهه ... الذى كان ... دائماً متفتحاً متورداً ... شحب
... شحوب الموتى ...

وعيناه ... اللتان كانتا تشعان ... إشراقاً وتفاؤلا ...
أخذتا تزوغ ... وتتطلعان فى شراسة وغضب ... إلى السماء ...

شفتاه ... المبتسمتان ... ترتعشان فى ذبول ...

ولسانه ... الذى كان لا يكف عن الحديث ... عن
بلاده ... والتضحية ... والإيمان ... والشرف ... والعدالة ...
والانسان ...

توقف هذا اللسان عن النطق ... وإلى الأبد ...
كيف يمكن لعقلها ...

بل ... كيف يمكن لعقل بشرى ... مهما بلغ نضجه وتجاربه ...
أن يستوعب ... كل هذا ... اللامعقول ... دون أن تطحنه ... هذه
الآلة الشيطانية ... فيتحول إلى مأساة دامية ... ترى ... ؟؟

ويضيف التاريخ ... اسمها ... إلى القائمة الطويلة ... للضحايا ...
ويضيف التاريخ ... اسم حبيبها ... إلى القائمة الطويلة ... للمشوهين ...

وكم من ضحايا ... !!
وكم ... من مشوهين ... !!
وكم ... من مجانين ... !!
وكم ... من أفاعى ... !!
وكم ... من شياطين ... !!



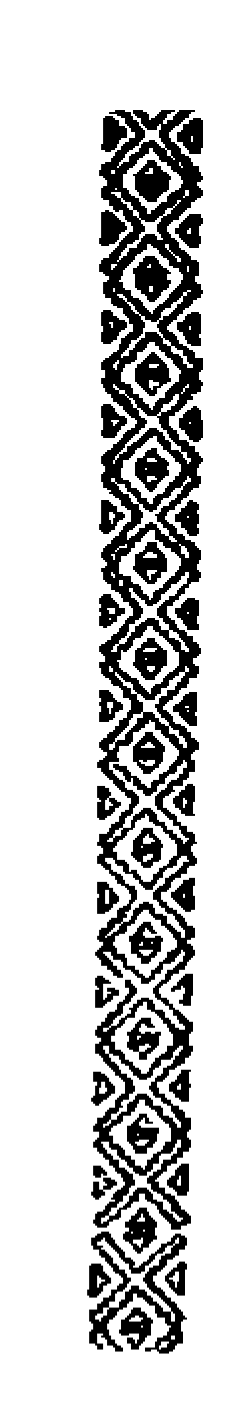
● المفهوم العصرى .. للفصاص الأسرى ! ●

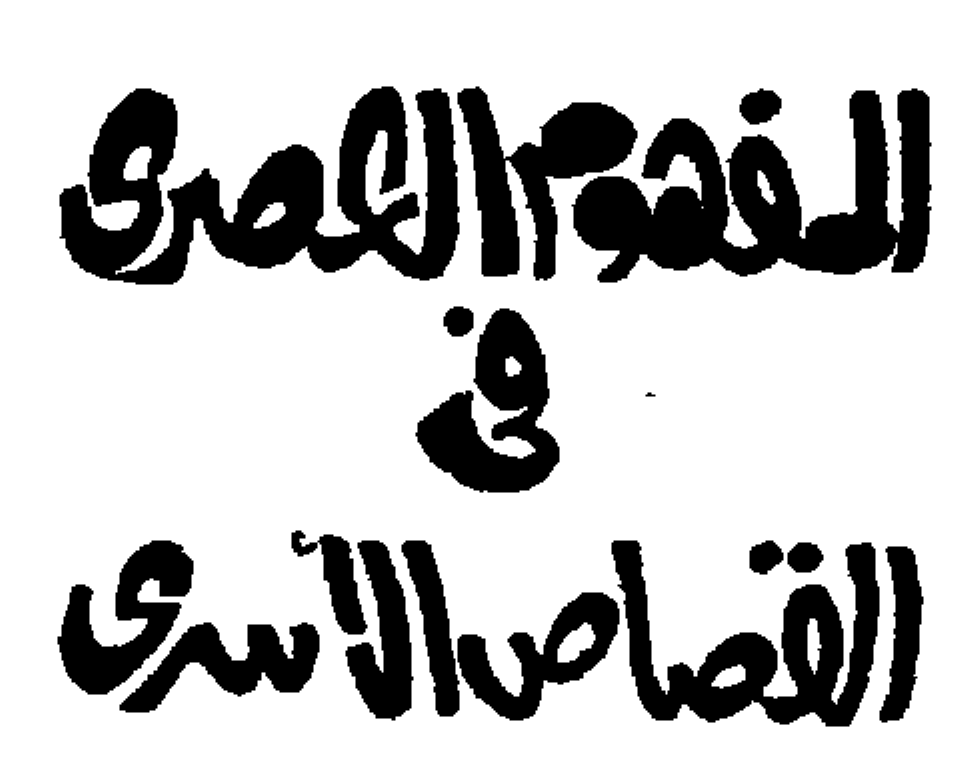




- كيف ..... ؟؟؟؟ !!!

  كيف يجرؤ .. هذا الأوسطى « ع » ..؟
  هذا الخائن .. كيف يجرؤ ... ؟
  وهو يعرف .. جيدا ... أن .. :
- « رزقـه » محتكر بايديهم ...
- « حيـاته » وقف عليهم ...
- « حريته » رهن برضائهم ...
- « كرامته » فى الوحل والطين ...
- « رأسـه » مطأطئة ذليلة ...
- كل حق له .. مهدر .. مسلوب ..





المفهوم العصرى في القصاص الأسرى

كثيراً .. ما تلهينا الحياة .. فى دورتها اليومية .. عن أشياء هامة وحيوية .. نتذكرها «لحظة» .. وسط نهارنا المشحون .. لتضيع «ساعات» .. وسط رحلة البحث عن لقمة العيش فى خضم الحياة ...

وفى حياة .. كل منا .. لحظة تنوير ..

تضاء لنا فيها الشموع .. لتبدد ظلام اليوم المشحون ... وتفرض علينا الصدق مع النفس ... ولو للحظة ...

نفعل شيئاً نشعر أنه واجب ... وأنه تعبير عن شىء .. أصيل .. وكامن فينا ..

نفعل الواجب فى لحظة .. مهما كانت دوامة الحياة .. وزحامها ...

وهذا هو بالضبط .. ما حدث لبطلنا الأوسطى (..ع..) عامل النسيج الذى تسلم مرتبه .. فى أحد الأعياد ..

ليتذكر فجأة أن زميله فى المصنع .. الأوسطى (..ح..) .. الذى اختفى فجأة .. منذ شهور .. له .. أسرة لايعلم .. أحد .. إلا الله كيف عاشت .. بلا مرتب .. منذ اختفاء رجلها ؟ ؟

وأن المروءة .. تقتضى مساندةأسرة الأوسطى (. . ح . .) فى محنتها .. حتى يعود للأسرة « ربها » الذى . . لا . . أحد . . يعرف . . كيف . . ؟ ولماذا . . ؟ وأين اختفى ؟ ؟

خلع الأوسطى (. . ع . .) . . « الكاب » . . ومر به بين زملائه . .

وتدفقت القروش . . والشلنات . . والعشرات . . داخل « الكاب » . . . لكى . . تكون . . فى النهاية مبلغاً واحداً . . قدره . . اثنى عشر جنيهاً مصرياً . . . تمثل مساهمة زملاء الأوسطى (. . ح . .) فى مساعدة أسرته فى محنتها التى يمكن أن يتعرض لها . . أى واحد . . منهم . .

وكعادة أبناء البلد . . لم ينس الأوسطى (. . ع . .) أن يقف أمام عربة من العربات العديدة . . التى يمتلىء بها الميدان الفسيح المواجه للمصنع . . تبيع فاكهة الموسم . . ليشترى « كيسين » منها . . قبل أن يتوجه إلى منزل زميله الأوسطى (. . ح . .)

ولم يجد زوجة زميله . . . ولما سأل عنها الابنة الكبرى والتى لم تبلغ « بعد » من العمر . . أربعة عشر ربيعاً . . أجابت . .

اتفضل ياعمى . . استريح . . زمانها جاية مش حتغيب .

وتطوع أصغر الأطفال — ٦ سنوات — فقال :

أصلها راحت السوق تبيع « اللحاف » اللى بتتغطى بيه . . وتجيب لينا معاها أكل . . .

قبل أن تعود زوجة زميله الأوسطى (. . ح . .) كان الصغار الأربعة قد « اجهزوا » على محتويات (الكيسين) من فاكهة الموسم . . رغم المحاولات العديدة التى قامت بها الابنة الكبرى . . لمنعهم من هذا التصرف المخجل . . أمام زميل والدها . .

أهلا . . وسهلا . : يا أوسطى (: : ع . .) خطوة عزيزة .

الله يعز مقدارك : : يا أم (. . . . .)

عملت الشاى لعملك يا (: : : :) . . ؟

موجهة سؤالها إلى الإبنة الكبرى :

ولم ترد الابنة الكبرى .:. ولكن أصغر الأطفال تطوع كعادته :: بالرد ..

إذا كان مفيش أكل : : حيبقى منين فيه شاى : : ؟ ؟

وحتى لايتأزم الموقف بين الأم وصغيرها « الغلباوى » ..

قال الأوسطى (: : ع : :):

يا أم (: : : :) احنا متأسفين قوى . : علشان التقصير بتاعنا . .

الأوسطى (: : ح : :) اخوانه تذكروه . . وآدى عيدية الأولاد : : وكل سنة وانتم طيبين وربنا يرجعه بالسلامة . .

وتسلمت زوجة الأوسطى (: . ح : :) المبلغ . . بحضور طفلها الصغير :

من المهم :: يا اخوتى : : فى هذا المجال :: أن نشير . . هنا إلى بعض المدارس الحديثة جداً فى فنون التأديب . . والتهذيب :: والإصلاح : :

فقد كانت المدارس القديمة : : ترى . . أن القصاص يجب أن يقتصر على « الجانى » :: فقط دون أسرته .

ولكن المدارس الحديثة جداً : : ترى أن هذا التفكير المتخلف تمثل قصوراً فى الرؤية : : الشمولية المطلوبة : : فى مثل هذه الأحوال . .

حيث ثبت من الدراسات الأكاديمية الحديثة جداً . . أنه يجب :

أن يتم القصاص أسريا . . بدرجات متفاوتة حتى يمكن الإصلاح بشكل جذرى شامل : : وفى دوائر أكثر اتساعاً . .

وتمشياً : : مع هذا المفهوم المتطور : : فان الأمر يستلزم متابعة أحوال (الأسر) : : بشكل دورى : . لتسجيل المؤشرات : . الجوهرية : . والتغيرات العادية والطارئة : : . واتخاذ الإجراءات المناسبة . . تجاه كل حالة على حدة . . وطبقا لنوعيتها الخاصة . .

وامتداداً : : لهذا المفهوم . . المتطور والعصرى والحديث جداً كانت تتم عملية عادية وروتينية . . لتتبع أحوال الأوسطى (. . ح : :) . .

أسفرت : : بعد شهور عديدة : : من المتابعة . . عن ضبط : : أصغر واحد من أفراد الأسرة وهو طفل يدعى (: : : :) يرتدى جلابية جديدة . . بينما أبوه : . مازال مصيره : : معلقاً بين السماء : : والأرض . .

معنى هذا . .

أن مفهوم القصاص الأسرى . . هذا المفهوم العصرى المتطور لن يحقق أهدافه . .

كيف حدث هذا . . . ؟ ؟

ومن : : هذا الذى جرؤ : : ؟ ؟

وبأسلوب الأفاعى : : يستدرج أحد « الزبانية » الطفل الصغير « الغلباوى » الذى ضبط متلبساً : : بارتداء جلابية جديدة . : بينما . . أبوه . : مازال مصيره . . معلقاً بين السماء : : والأرض . .

والطفولة البريئة :: لاتعرف المراوغة :: ولم تتدرب بعد على أسلوب الأفاعى..

ويقول الطفل « الغلباوى » :

أصل عمى الأوسطى (: : ع . .) زميل بابا . . أحضر العيدية لأمى . . .
وطبخت لنا خضار ولحمة : : وأرز : . وفصلت لى جلابية جديدة علشان ألبسها
فى العيد : : واركب المراجيح . . .

وتختفى الأفعى : : وتهتز الدنيا . .

وتتحرك كل قوى الشر بحثاً عن !

المجرم الأثيم : . الخائن : . المتآمر . . العميل . . الإرهابى . . الرجعى . .
الانهازى : : المنحرف . .

الذى جرؤ : : على تحدى المفاهيم العصرية . . للقصاص الأسرى . .

كيف يجرؤ : : هذا : : الخائن : : : ؟ ؟ وهو . . .

وهو : : : يعرف : : جيداً : : أن !

رزقه : . محتكر بأيديهم . . .

حياته : : وقف : : عليهم . . . .

حريته رهن برضائهم . . .

كرامته : : فى الوحل : : والطين . .

رأسه مطأطئة : : ذليلة . .

وكل حق له : : مهدر : : ومسلوب . . ومستباح . . .

وتصدر الأوامر بالبحث عن هذا !(: : ع : :) وهى مهمة شاقة نظراً
لكثرة الأسماء السوقية المشابهة : : فى مثل تلك الأوساط . .

ولكن توجد طرق حديثة : : لمعرفة من هو (: : ع . .) الحقيقى ليس هنا مجال
مجال إزاحة الستار عنها . . .

ولم تمض ساعات قلائل . . حتى أمكن العثور على هذا الإنسان الذى لم يستطع كبت شهوة الواجب والشهامة فى نفسه . . . والذى جرؤ على تحدى أحدث المفاهيم العصرية فى القصاص الأسرى...

وتتلقفه الزبانية . . بطرقها المعروفة . . والتى لم تعد خافية على أحد . .

لتحقق معه . . لا . . فى تهمة أنه لم يستطع كبت شهوة الواجب . . والشهامة فى نفسه .

ولكن . . فى تهمة . . .

الاشتراك فى اتفاق جنائى .. هدفه قلب نظام الحكم بالقوة . .
وتغيير دستور الدولة . . بأن انضم إلى تنظيم سرى ارهابى . .
هدفه القتل والتخريب والاستيلاء على السلطة بالقوة ...

ويعترف . . الأوسطى (. . ع . .)

ولا بد . . أن يعترف . . .

وبعد مشهد هزلى . . مسرحى . . . وبعملية حسابية . . بالغة البساطة . . وبدون أية تعقيدات . . يمكننا أن نستنتج المعادلة التالية . . التى تتلخص فيما يلى :

الحكم على الأوسطى المدعو (. . ع . .) بقضاء سنة
واحدة مع الأشغال الشاقة . . عن كل جنيه واحد . .
تولى جمعه . . لأسرة الأوسطى المدعو (. . ح . .) . .
وبذلك يكون إجمالى الفترة التى أمضاها فى ضيافة الشيطان ...
اثنى عشر عاماً لاغير . . مع الأشغال الشاقة المؤقته . .

ويجىء ١٥ مايو ١٩٧١ ...

ويعود الأوسطى (. . ع . .) إلى بيته بعد عذاب استمر ٦ سنوات ضمن الدفعة الأولى من اللذين أعيدوا إلى بيوتهم . .

لكن الأوسطى (: : ع : :) كان واحداً من الذين عادوا : : وقد تهتك طحاله . . وكسر عموده الفقرى . . . وتمزقت رئتاه . . وذلك فى ظروف . . غامضة . :

ويموت الأوسطى (: : ع : :) بعد ثلاثة أسابيع فقط : : من استنشاقه هواء مغايراً . . لنوع الهواء . . الذى تعود عليه طوال السنوات . . الست التى أمضاها . . فى ضيافة الشيطان . .





● أيها السادة .. اسمحوا لها أن تمارس أنانيتها مرة واحـــدة .. وأخيرة ! ●

● أيها السـادة:
أسمحوا لها أن تمارس
أنانيتها مـرة واحدة
و... أخـيرة !



● أخيرا .. فهمت كل شيء .. وحقيقة كل شيء ...

فهمت .. أبعاد ((الوظيفة)) المعروضة عليها ...

ونظرت الى الرجل الطيب الكبير ... لحظات ...

ثم قالت :

● متأسفة ... متأسفة .. يا سعادة البيه ...

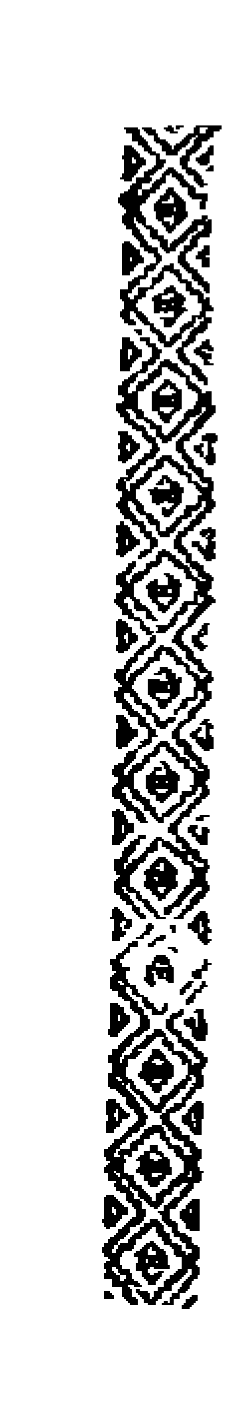
أنا فعلا فرطت فى ((عرضى)) .. بس لحساب .. ولادى ... وزوجى ... انما مش ممكن ... افرط فى ((عرضى)) لحسابكم ... وانتو السبب .. فى كل اللى حصل ... !!!

أيها السادة

سجلوا الآن تمارس

انا نيتها مرة واحدة

و ..... أخيرة



عندما . . باعت . . الزوجة الشابة الحسناء . . آخر كرسى : : فى المنزل

شترت مجموعة من أظرف الخطابات . . وكمية من أفرخ الورق

الأبيض المسطر . . . وعشرات من طوابع البريد . . .

وأمضت ليال طويلة . . ساهرة . . تكتب « استغاثتها » . . إلى كل القلوب

الكبيرة الطيبة . . . تطلب مساعدتها . . . فى إيجاد عمل شريف لها . . .

ماذنبى . . وقد أخذتم زوجى . . . ؟ ؟

ماذنب الأطفال الثمانية . . وجدتهم العجوز المشلولة . . ؟ ؟

كيف يمكن أن أواصل . . الحياة . . بلا مرتب ولا معاش

ولا مكافأة . . . ولا عمل . . . ؟

حتى أحقر الأعمال . . تتطلب موافقة وترخيصاً . . .

والترخيص محرم على . . . أمثالنا . . .

حتى الضمان الاجتماعى . . . الذى هو حق لزوجة القاتل . .

والمرتشى . . . والمختلس . . . والمهرب . . . وتاجر

المخدرات واللص . .

نعم . . حتى الضمان الاجتماعي . . يرفض مساعدتى . . .
لأن قدرى شاء . . أن أكون زوجة . . لواحد من
عشرات الآلاف . . من المنبوذين . . .
لقد بعت كل شيء . . حتى يأكل الصغار . .
لم يبق شيء آخر . . يمكن أن يباع . .
أنقذونى . . . يرحمكم الله . . .

ورغم أن هذه الزوجة الشابة . . التى انتزعوا زوجها . . ذات فجر وحشى . .
كانت تعتقد . . أنها باعت كل شيء . . .

إلا . . أن صاحب المنزل . . الذى يملك حق طردها . . . بسبب تأخرها . .
عن سداد الإيجار . . لمدة عشرة أشهر متصلة . .

كان يعلم . . . أن هناك شيئاً . . آخر . . عليها أن تبيعه — بخلاف كل
ماباعته . . . وكان يعلم أيضاً . . . أنه سيكون المشترى الأول . . . بحكم . .
الجيرة . . أساساً . . . وبحكم . . تراكم القيمة الإيجارية . . . وبحكم . . الخبرة
العريقة التى اكتسبها الرجل . . خلال عمله فى التجارة . . .

وإلى جانب هذا كله . . .

كان ثمة عامل أساسى . . يعتمد عليه الرجل . . . فى حساباته الدقيقة للموقف .

وهو نوعية (التهمة) الموجهة لزوج الشابة الحسناء . . .

لقد كانت . . . « التهمة » . . . « علم . . . ولم يبلغ » . . . والاشتراك . . .

وهذا معناه . . بحساباته الشخصية . . . عشرة أعوام . . . للزوج . . . بعيداً
عن زوجته الشابة الحسناء . . . وقد تطول عن ذلك . . .

ومن هنا . . .

كان يرى . . أن « الصيد » . . واقع . . . لا محالة . . .

وبينما . . . كانت خطابات الاستغاثة الأخيرة . . التى أرسلتها الزوجة الشابة . إلى كل القلوب الكبيرة الطيبة . . . توضع عليها . . . أرقام الصادر . . . وأرقام الوارد . . . السرى . . والعلنى . . .

كان الرجل . . يطرق باب شقة الزوجة . . للسؤال عن الأحوال . . والصحة وأخبار الأفندى . . الغائب — وراء الشمس — منذ عشرة شهور . .

وتدخل كافة الاهتمامات . . فيما تعلمه الرجل عن « الواجب » . . .

ولما كان « الواجب» يجب ألا يتعارض مع (الأصول) . . كما تعلم « صاحبنا » فى السوق . . . فقد اختتم . . . صاحبنا . . اللقاء . . . بتذكير الزوجة الشابة الحسناء برقم الإيجار المتأخر . . . وطلب منها . . أن تمر عليه فى المحل . . خلال يومين . . . للتفاهم . . فى هذا الموضوع . . .

وربنا عنده التساهيل . . .

وكل مشكلة . . ولها ألف حل . . . وحل . . .

خلال اليومين . . . لم يصل ساعى البريد . . . برد . . . على استغاثة من مئات الاستغاثات . . . التى بعثت بها . . . إلى كل القلوب . . . الطيبة . . . والكبيرة .

وبينما الأطفال « الثمانية » يصرخون من الهزال . . . تركتهم الزوجة . . . وخرجت لتتفاهم مع الرجل على . . . إيجار الشقة المتراكم ... والذى ينتظر تراكماً . . أكثر مع مرور . . الأيام . .

وبالفعل . . تم التفاهم . .

لم يستغرق هذا التفاهم . . وقتاً طويلا . . .

لم يكن . . . أمامها . . خيار . . .

واشترى الرجل . . ذلك الشيء الأخير . . . الذي لم يكن قد بيع : : بعد . .

اشتراه : : : الرجل . . . مقابل . . . عدم طرد الزوجة . . . وأولادها ::: وجدتهم العجوز ::: المشلولة ... إلى الشارع ...

وهكذا استراح الرجل . .

كانت الصفقة معقولة جداً . . . وهو رجل . . . يجيد « الواجب » : : ويهتم بالأصول . . .

وإذا كان مشوار الألف ميل : : يبدأ بخطوة : : :

وكذلك منزلق « التفاهم » : : يبدأ : : بلحظة قهر . . .

وضعت الزوجة الشابة الحسناء : : : قدمها على بداية . . المنزلق . . . ولم تعد تذكر شيئاً : : سوى أن هناك ثمانية أطفال : : وجدة : : يجب : : أن يأكلوا مهما كانت الظروف : : : ومهما كان الثمن الذي تدفعه : : من دمها . .

وحملها « التيار » تيار المنزلق : : إلى دروب الحياة السرية : . في المدينة الواسعة الغربية : : : التي تستنكر : : كل شيء : : في العلن : : . وتمارس : : كل شيء في الجانب السري : : من حياتها . .

وكما يحدث : : في الأفلام العربية . . .

كانت الزوجة : : تعود في آخر الليل . . معها قروشها . . وأكل الأولاد تضعه أمامهم . .

وقبل أن يبدأ الأولاد : : في الأكل : : مع جدتهم . . . كانت المرأة : : : تغيب في نوم اغمائي من تعب الرحلة اليومية الشاقة : : في الدروب السرية : : للمدينة الغربية الواسعة : :

وإذا كانت الرحلة اليومية على هذا النحو . . . تعتبر رحلة شاقة . . فقد كانت هناك رحلة أخرى . . . على المرأة . . . أن تخوضها . . كلما سمحوا لها بزيارة زوجها . . .

كان عليها بطبيعة الحال — أن تدبر « للزيارة » ما يلزمها . . . وأن تخوض الرحلة الشاقة الثانية بمفردها . . أيضاً . .

وكان عليها — وهذا هو الأهم — ألا تشعر رجلها . . . أن هناك شيئاً . . غير عادى فى حياتها . . .

كان أخشى ما تخشاه . . أن يتطلع إلى عينيها . . . فيقرأ كل شيء . . . ويعرف كل شيء . . .

لقد تعود . . . أن يقرأ . . . فى عينيها . . . كل ما تحاول أن تخفيه عنه . . . وكل شيء فينا يمكن أن يجيد الكذب . . . إلا . . . العيون . . . هى وحدها التى لا تعرف الخداع . . . أو الكذب . . . انهما تفضحنا دائماً . . .

ماذا . . . تفعل . . . ؟

هل تخفى . . . عينيها . . . بنظارة شمسية سوداء . . ؟ ؟

سيطلب . . . منها . . . حتماً . . . أن تخلع النظارة . . .

ومهما حاولت . . . أن تهرب بنظراتها حتى لا تلتقى بعينيه . . . ستخبره عيناها . . . بكل شيء . . . فصداقة عميقة . . تربطه بهاتين العينين .. الجميلتين . . . تبوحان . . . له . . . بكل شيء . . . حتى الأشياء . . . التى كثيراً ما يمنعها حياء الأنثى أن تصارح بها زوجها . . . وتبعثان إليه . . . كلما تطلع إليهما . . بشحنة هائلة . . . من التفاؤل . . . والأمل . . . إذن . . .

لا شيء . . . سوى الدموع . . . وما أسهل الدموع . . . أنها
تعيش فى بحر من الدموع . . .

يكفي . . وهى فى طريقها إليه . . . أن تتذكر الرحلة
اليومية الشاقة . . . التى تقوم بها ... فى دروب الحياة السرية ...
فى المدينة الغريبة الواسعة . . .

يكفي أن تتذكر هذه الرحلة الشاقة . . . لتغرق نفسها فى
بحور . . . من الدموع . . .

وبهذا . . . كانت دموع المرأة . . . لا تتوقف من بداية « الزيارة » حتى
نهايتها . . .

ولم يستطع الرجل أن يحدد بالضبط . . سبباً . . لهذه الدموع المتصلة . . .

وسط الجو . . المأسوى . . الذى يحيط « بيوم » الزيارة الشهرية . . .

وقد يتصور البعض . . . أنهم . . . عندما يختارون الانزلاق . . . فى الدروب
السرية . . . للحياة الخلفية . . للمدينة سيكونون بعيداً عن الأعين . .

ولكن التجارب . . أثبتت عكس ذلك تماماً . . .

فهناك « عيون » لا تنام . . على الإطلاق . . .

ترى الحياة « السرية » . . . والحياة العلنية . . . ترصد . . . كل كبيرة ...
وكل صغيرة . . . خاصة . . . إذا كان لهذه الصغيرة . . . أو الكبيرة . . .
علاقة . . . بواحد من عشرات الآلاف . . من المنبوذين . . . أو بأسرة . .
أحد المنبوذين . . .

وبالفعل تم رصد . . هذه الظاهرة . . .

وبلا روتين . . وبلا صادر . . وبلا وارد . . .

تم رفع تقرير . . سرى : : عاجل . . وهام عنها . . إلى أعلى المستويات . . الخاصة بالرصد . . .

وعلى الفور : : تم استدعاء الزوجة . . بشكل عاجل . . . لمقابلة « واحد » من أكبر المسئولين عن الرصد . . فى مكتبه . . .

وكان . . لقاء . . .

الظاهر : : : أنه رجل طيب . . .

إنه يسأل . . عن الأولاد : : . والجدة العجوز المشلولة .

إنه يفصل تماماً : : بين الزوج « المنبوذ » وبين حق أسرته فى أن تعيش . . . فى مجتمعنا الانسانى : : : والعادل : : : !!!

إنه يسأل الزوجة : : عما إذا كانت بحاجة إلى عمل . . . ؟ ؟

وهل هذا سؤال : : : ياسعادة البيه : : : ؟ ؟

ايدى . . على ايدك من دلوقت : : : ده . : أنا . . حتى . . حاولت . . قبل ما يحكم على ربنا بالشغلة المهببة دى . . .

حاولت أشتغل خدامة فى أى بيت : : عند أى عيلة . . بمجرد . . . ما يعرفوا . . انى زوجة واحد منبوذ يخافوا . : يترعبوا : : : يهربوا : : : زى . . ما يكون : : . مصيبة نزلت عليهم . : . ويقولوا لى : : متأسفين : : : الله الغنى . .

أنا مستعدة . . ياسعادة البيه . . أقبل أى شغلانة . . فراشة : : أو تمورجية . . أى حاجة : : تستر الأولاد . .

الحمد لله : : يعلم ربنا كم تعذبت طوال هذه الأيام . . .

انه فعلا رجل طيب . : . انه يقول . . .

احنا ما يخلصناش . . انك : : تفرطى فى عرضك . . بسبب « جنون » زوجك . .

ومع أن المرأة . . لا تفهم كثيراً . . . فى لعبة الكلام
الملفوف الذى « يلف » . . ويدور . . حتى يحقق أهدافه . .
إلا أنها استطاعت . . بعد مجهود . . أن تدرك . . . أن الوظيفة
المعروضة عليها . . لكى يأكل الأولاد . . . هى وظيفة . . .
سهلة للغاية . . .

لا تكلفها . . . أكثر من أن تتسمع . . . ما يقوله الناس . .
خاصة . . . المنبوذين من الناس . . وأسرهم . . . وترصد . .
كل ما تسمعه . . . أو تراه . . . وتدونه . . . فى أوراق . . .
مثل الأوراق التى . . كم سهرت الليالى الطوال . . . تملأها . .
بمئات الاستغاثات . . إلى كل القلوب الطيبة . . والكبيرة . . .

وتتقاضى مقابل هذا « الرصد » مبلغاً شهرياً معقولا . .
يحميها . . من الرحلة اليومية الشاقة .. فى الدروب السرية . .
للمدينة الواسعة الغريبة . .

عجيب . . كل العجب . . . أمر . . هذه النفس البشرية . . . إنها معقدة
غاية التعقيد . . .

كانت المرأة . . منكسة الرأس . . . تنظر إلى . . . السجادة الوثيرة . . . التى
تكسو أرضية مكتب الرجل الكبير . . . وخيالها يسبح بعيداً . . فى بحر من
الأفكار عميق . . .

أخيراً . . فهمت . . كل شىء . . .

فهمت . . أبعاد الوظيفة . . المعروضة عليها . . . ثم رفعت رأسها . . ونظرت
إلى الرجل الطيب الكبير . . لحظات . . . وقالت . . . .

متأسفة . . متأسفة . . قوى ياسعادة البيه . . .

أنا فعلا فرطت فى عرضى . . . بس لحساب أولادى . .
وزوجى إنما . . مش ممكن . . أفرط . . فى عرضى لحسابكم
وانتو السبب . . فى كل اللى حصل . . .

الوظيفة دى . . . ياسعادة البيه . . . متفرقش كتير . . عن
الوظيفة . . اللى باشتغلها دلوقت ... متشكرين ... متشكرين ...
ياسعادة البيه ... تخدمك . . كده فى الأفراح ... والمسرات ...
ربنا يحفظك . . . لأولادك . . ويخليك ليهم . . .

ويستطيع كاتب هذه السطور . . . أن يؤكد . . . أن هذا الرجل الكبير . . .
لم يفهم ساعتها . وحتى يومنا هذا . . :

كيف . . . ترتضى . . امرأة عادية بسيطة . . أن تبيع جسدها . . وتتحول
إلى عاهرة . . وترفض . . مثل هذه الوظيفة الشريفة التى عرضها عليها . . . ؟ ؟

هذا ... اختتم مقابلته .. هذه المرأة .. فى غضب صاهر . . وهو يقول . . :

على كيفك . . .

الظاهر . . انك أصبحت غاوية الطريق ده . . .

مع السلامة . . .

فى يوم من الأيام . . .

تم تفتيش . . مكتب .. هذا الرجل الكبير . . . وبين ما عثر عليه . . . فى
هذا المكتب الخطير . . .

شريط تسجيلى . . . للقاء التاريخى الهام . . . الذى أجراه . . هذا المسئول
الكبير ... مع هذه الزوجة التى اجبروها .. على أن تبيع .. نفسها . . . للشيطان . .

وقد أثارت هذه المقابلة . . مجموعة من علامات الاستفهام فى ذهن المحقق الذى كان يستجوب هذا المسئول .

فسأله : عن سبب تسجيله : : لهذه المقابلة . . واحتفاظه بشريطها . . . ؟ ؟ ؟ ؟

فنظر له الرجل : : : فى استغراب . . لصدور . . مثل هذا السؤال منه . . . ومع ذلك أجاب : : : !

أبداً : . المسألة فى غاية البساطة . . . أنا محتفظ بالشريط . . لسبب بسيط خالص : : . أصل جوزها . . حضرته عامل زعيم الشرفاء : : : ويمكن يطلع : : فى يوم من الأيام . . . نبقى نسمعه . : : الشريط : . ده . . . علشان . . يعرف حقيقة حرم زعيم الشرفاء : : : وبالطريقة . . دى تقدر نذله : : : ويبطل يعمل علينا : : راجل . . .

معذرة : : : وألف معذرة : : يا اخوتى . . . فالقدر . . لحكمة . . . يعرفها هو : . . وهو : : وحده : : : لا يريد . : ان يترفق . : بكم . . وبى . . .

ويصر على : : إلا يكتفى : . بكل ما حدث : : : ليكون : : : النهاية . . .

فهو : : : أى القدر : . . ولا : . راد لمشيئته . : : ولحكمة . . : . يعرفها . . هو : : : وهو وحده : : : يصنع : . لنا . . نهاية . . أخرى . . .

ولهذا . . .

فنحن : : لم نصل بعد إلى النهاية . . .

واقرأوا : : : معى : . . هذه النهاية . : : التى اقسم : : لكم . . بكل عزيز . . وغال . : ومقدس :: أن قلمى . . برىء منها براءة الذئب :: من دم : . ابن يعقوب . .

فى نفس اليوم : : : الذى أعلن فيه الحكم : : بالأشغال الشاقة المؤبدة . . على الرجل الكبير المسئول عن « الرصد » والذى رفضت بطلتنا الشابة الحسناء . . .

أن تبيع نفسها لحسابه الخاص . . . فى نفس هذا اليوم . . . بالذات . . . يعود الزوج . . . فى توافق . . . قدرى نرفضه . . لوقدمته لنا . . السينما العربية بهذا الشكل الغريب . . . ولكننا . . هنا . . مضطرين لقبوله . . . لأنه . . . قدرياً . . . وتاريخياً . . . حدث . . . بهذا التوافق . . المروع . . ولأن الواقع . . دائماً . . . كما يقولون . . . أغرب . . من الخيال . . .

المهم . . .

أخيراً . . . وبعد سنوات سبع . . . يعود الزوج . . . إلى بيته . .

الأقارب . . . والأصدقاء . . . والجيران . . . الذين كانوا . . . يتحاشون حتى مجرد . . . ذكر اسمه . . . بدأوا . . الآن . . . يتوافدون على البيت . . .

الزغاريد . . . التى ماتت فوق الشفاة . . سنوات طوال . . . تبعث من جديد . . وترتفع . . . لتعلن . . أن للظلم . . نهاية . . . كما أن للطغاة . . نهاية . .

ووسط الزحام . . والزغاريد والضجيج . . . وصيحات الأطفال . . كانت الدموع . . تترقرق فى عينى الزوجة . . التى حفرت سنوات غياب زوجها . . . بصماتها على ملامحها الدقيقة الحلوة . . فأصبحت . . أشبه بتمثال للحزن الصامت . . . الحزن المتحرك . . . الحزن الصلب . .

كانت تهرب فى زحام المهنئين . . . وتتحاشى . . أن ينفرد . . بها زوجها . . حتى . . لا تناديه . . . عيناها . . . حبيبتاه . . . وتشيان . . . وتفضحان . . . له كل شىء . . . .

كانت تروح . . . وتجىء . . فى المنزل . . . تستقبل . . الضيوف . . وتشكر المهنئين . . . وتتحرك فى كل مكان . . .

كان حزنها . . فى هذا اليوم . . قد أصبح مشوباً بالارتياح . . .

نعم . . . كانت ملامح وجهها . . المكدودة . . . تكتسى بالراحة . . .
بعد أن . . انهكها القلق . . والتوتر . . . ورحلة العذابات السرية . . والعلنية . .

كان وجهها . . حزيناً . . . مرتاحاً . . . يشيع بريقاً . . . غريباً . . .
لا يوصف . . .

وينشغل . . . الأقارب والأصدقاء . . . والجيران . . . والصغار : : : بالزوج
العائد . . من وراء الشمس . . . وتتسلل الزوجه . . . إلى غرفة نومها الخاصة . . .
دون أن يحس بها أحد . . . بالمفتاح . . .

وتحضر ورقة من بقايا الورق الأبيض المسطر . . الذى أمضت . . ليال طويلة
ساهرة . . تكتب عليه . . استغاثاتها . . إلى كل القلوب الكبيرة . . الطيبة . .
تطلب مساعدتها . . .

وأمسكت . . بالقلم . . . وأخذت . . . تكتب . . وتكتب . . .

ثم تطوى الورقة . . . فى هدوء . . . وتضعها . . . فى مظروف صغير
وأمسكت بقلمها من جديد . . . وكتبت . . ماكتبته على المظروف . . وتغلق
المظروف بإحكام . . . وتضع آخر طابع للبريد . . . كان قد تبقى من عشرات
الطوابع . . التى اشترتها يوم باعت آخر . . كرسى فى البيت . . . ثم تخرج من
الغرفة . . . دون أن يحس بها أحد أيضاً . . . فكلهم . . . مشغولون . . . بالرجل
العائد . . من وراء الشمس . . . وتنادى أكبر الأولاد .

— : اسمع يا (. . . . . .) يا حبيبي . . . الجواب : : ده . . تهنئة لبابا . . :
اوعى . . تقول له عليه . . الليلة دى . . . علشان . . . عايزين . . نخليه . .
مفاجأة له . . . تروح . . ياحبيبى . . دلوقتى . . ترميه . . فى صندوق
البوسته . . اللى فى آخر الشارع . . . وترجع . . من غير ماحد . . يحس بيك . :

• ! حاضر . . ياماما . . يا حبيبتى . . . ربنا يخليكى لينا . . ويخلى بابا . . .
وتيته كمان . . .

ولم : : : تنس « بطلتنا » . . أن تقبل ابنها . . وهى توصله إلى باب الشقة . .
ومعه الخطاب . . .

ثم تعود إلى الزحام من جديد . . .

عيناها . : : زائغتان . : تبحثان عن الصغار الثمانية . . . والزوج . . . والجدة
العجوز المشلولة . . .

وتجد أصغر أطفالها . . وقد اتسخ وجهه . . . فتأخذه إلى الحمام . . . وتغسل
له وجهه . . . ثم تجلسه . . : جانب أبيه : : : بين المؤمنين . .

ثم ذهبت هى : : وحدها . . : إلى الحمام ثانية . . .

ذهبت وقررت : : : ألا تعود . . .

ويسجل أحد محاضر الشرطة . . .

انه . . . فى يوم : : : من : : : الأيام . . .

أغلقت السيدة (.....) زوجة السيد (. . . . . .) على نفسها باب الحمام . . .
فى شقتها التى تقع بالمنزل رقم (: : :) بشارع (: : : : :) بمدينة (. . . . .)
وأشعلت النار . : فى جسدها . . : بعد أن سكبت عليها كمية من الكيروسين . . .

وقد أفاد الزوج : : : أنه . . : . عاد اليوم فقط : : . بعد غياب عن بيته . . .
دام سبع سنوات . . .

وأنه بعد أن تمكن . . بمساعدة آخرين . . من كسر باب الحمام . . وجدت
الزوجة . . متفحمة تماماً : . وقد فارقت الحياة . . بعد دقائق من كسر الباب : .

وبسؤال الزوج عن أسباب الحادث . : . أفاد . : . بأنه . : : لايعلم شيئاً . . .

كما أن الشهود . . لم يدلوا . . بأية معلومات . . تفيد التوصل إلى الأسباب الحقيقية . . لهذا الحادث الغامض . . .

وبعد أيام قلائل . . .

يحمل البريد . . إلى الزوج . . رسالة كتبتها الزوجة . . إلى رجلها . . . تقول . . بعض سطور الرسالة . . !

زوجى . . .

حبيبى . . .

والد أطفالى . . .

اسمح . . . لى أن أمارس « أنانيتى » مرة واحدة . . .
وأخيرة . . .

لم يكن هناك حل . . آخر . . .

نعم . . ليس هناك . . حل آخر لتربية صغارنا . . . إلا . .
بأن اختفى من حياتهم . . .

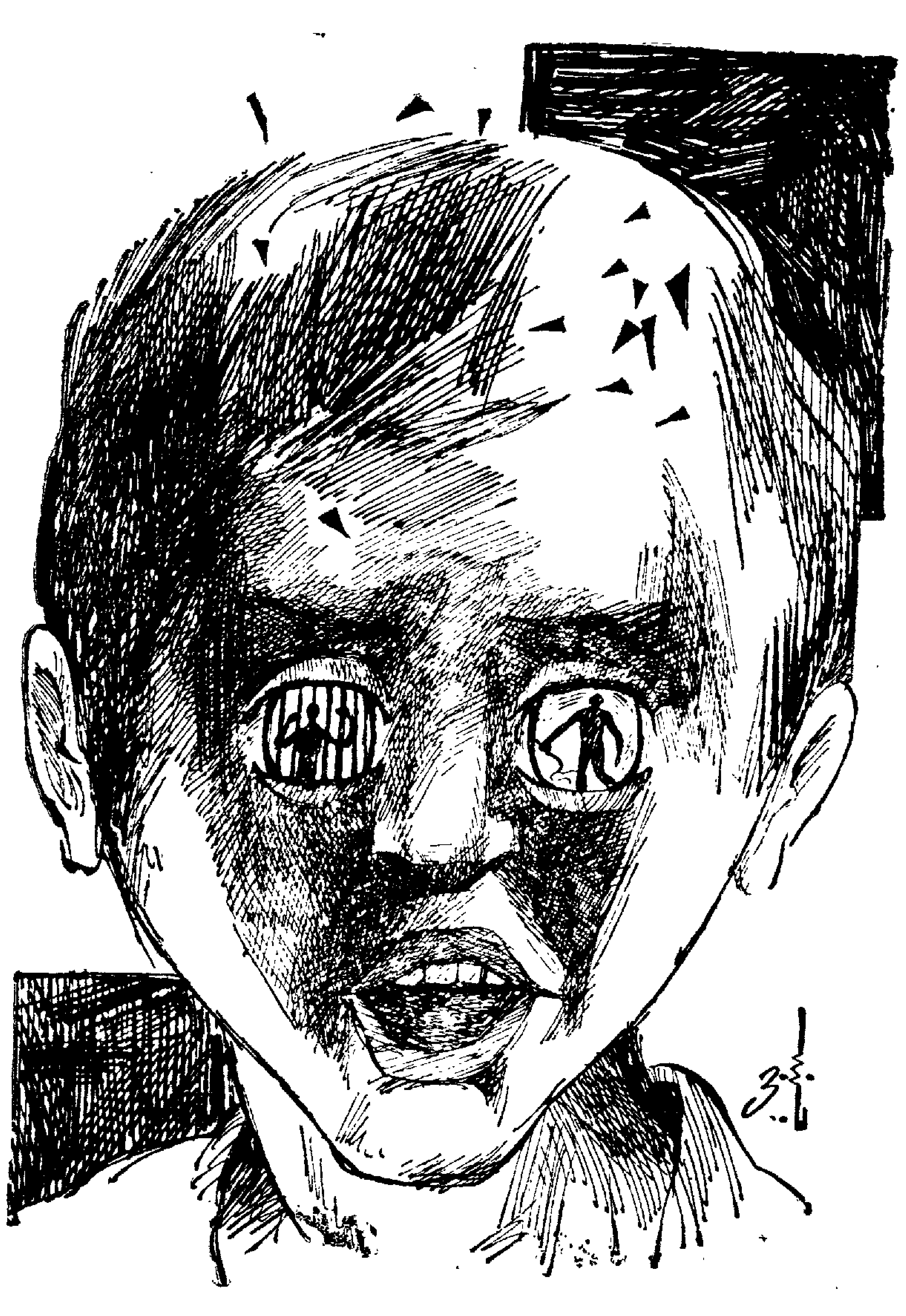
وليس هناك . . . حل آخر . . . لأن تظل رجلا . .
مرفوع الرأس . . . إلا . . بأن أختفى من حياتك . . . أنت
أيضا . . .

وداعاً . . .

واغفرلى . . « أنانيتى » هذه المرة . . .

قبلاتى لك . . . .

ولكل الأحباء . . .



● يسقط الربيع . . ! ●

يسقط الربيع



● وفى النهـاية ....
لم يكن هناك ... أبدا ... مفر ....
ذبلت .. نباتات الزينة .. والورود ..
والزهور ...
ماتت .. أو .. قتلت .. الطيور ...
والعصافير ...
وتغريد الطيور .. وزقزقة العصافير ..
واختنق .. الحب ... والجمـال ...
وسقط ... الربيع ...
ولم يبق .... على الاطلاق ...
سـوى الجنـون ...
كل الجنـون ... !!! ●



بسقط الربيع

في زيارة عائلية . . اشتكت الأخت . . لأخيها . . من « شقاوة »
« الولد » الوحيد . . خلال الأجازة الصيفية . . وما يسببه لها من
ازعاج ومضايقات . . . خاصة فى فترة الصباح التى تعودت أن تقضيها مع ضيوفها
وصديقاتها . . . أو فى أداء مهامها الخاصة لدى الكوافير . . والخياطة . . .
وطبيب الأسنان . . .

فهو لايكف عن ملاحقتها بأسئلته . . .

لماذا تأخرت . . . إلى ما قبل العصر . . عند طبيب الأسنان . . ؟ ؟

وكيف احتملت قضاء طول اليوم . . عند الخياطة . . . ؟ ؟

وهل من المعقول . . أن تذهبي يوماً . . بعد يوم . . إلى الكوافير . . . ؟ ؟

وأسئلة عديدة . . لاتتوقف . . وكأنه يتعقب . . تحركاتها . . ويحسب
عليها كل صغيرة وكبيرة . . .

وتمتد مضايقاته . . إلى اخوته . . البنات الخمس . . كلما تأخرت . .
واحدة منهن . . قليلا خارج البيت . . أو كلما لبست واحدة . . فستاناً . . أو بلوزه
أو « جيبه » أو بنطلون . . . يبرز « أشياء » . . فى جسدها . . لايرتاح له . . .

صحيح أن الأم وبناتها الخمس . . . قد تعودن . . على أسئلته . . . وانتقاداته . . التى لاتنتهى . . . لأنه كان يتميز . . فى توجيه أسئلته . . . وانتقاداته . . . بأسلوب ساخر . . . وهادىء بلا تشنج وبخفة دم . . كثيرا ماتغرقهن . . . فى عاصفة من الضحك . . .

لكن . . الشىء . . الذى يثير . . الأم . . ويدفعها إلى أن تشكو . . لأخيها من « شقاوة » الولد . . . هو اصراره . . على ممارسة . . .هواياته المفضلة . . فى كل ركن . . من أركان الشقة . . .

فهو . . يهوى تربية الطيور . . والعصافير . .ويهوى ايضاً . .. زراعة الزهور . . ونباتات الزينة . .

وفى سبيل هذه الهواية . . .

أحال الشقة . . . إلى « ورشة » يصنع فيها بنفسه . . « العشش» والأقفاص . . مختلفة الأحجام . . من الخشب . . والأسلاك . . . ليربى فيها مجموعات الطيور . . والعصافير . . التى يشتريها من مصروفه الخاص . . وأحال الشقة أيضاً . . . إلى (مشتل) صغير . . ملىء . . . ب (القصارى) . . والطين . . يجرى فيه تجاربه . . المبكرة . . فى زراعة . . . الورود . . . والزهور . . ونباتات الزينة . . . الأمر . . . الذى يسبب . . للأم ولبناتها الخمس . . . ازعاجاً . . شديداً . . من أجل مظهر الشقة . . أمام ضيوف الأم . . وصديقات بناتها الخمس . . .

واقترح الأخ . . . على أخته . . . أن تبعث إليه . . بالولد « الشقى » . . . الذى يضايقها . . لكى يقضى معه وقتاً . . فى الحدائق الواسعة . . الملحقة بمقر عمله يمارس فيها هواياته فى تربية الطيور والعصافير . . وزارعة . . الورود والزهور . . ونباتات الزينة . . وترتاح . . . أكبر فترة ممكنة . . هى وبناتها الخمس . . من أسئلته . . واستفساراته . . وانتقاداته الساخرة . . . ووضع الأخ . . . واخته الاقتراح . . . موضع التنفيذ العملى . . وذهب الولد الشقى . . . إلى خاله لكى

تستريح الأم . . . وبناتها الخمس من مضايقاته وأسئلته وانتقاداته الساخرة . . .
ول‍ ـ يحتفظ الشقة بمظهرها . . أمام ضيوف الأم . . وصديقات بناتها . . .

وعندما ذهب الولد . . . إلى خاله . . . للمرة الأولى . . أصيب . . بحالة انبهار شديد . . . لتلك . . المكانة المخيفة . . . التى يتمتع بها « أونكل » . . .
لقد عرف خاله . . . ظريفاً . . لطيفاً . . يتعامل « بأدب» شديد . . و« خجل» أشد . . خاصة . . . مع النساء . . .

لدرجة . . أنه حينما فكر فى أن يتزوج وتقدم لأسرة معروفة . . . يطلب يد « واحدة » من بناتها . . . رفضت العروس . . الزواج منه . . . .

وقالت فى أسباب رفضها . .

أنه « مؤدب» أكثر من اللازم . . . و« خجول » جداً أكثر من اللازم . . .
وهى تريد . . . « رجلا» . أقوى شخصية منها . . .

ومن يومها . . .

ولم يعاود التفكير . . . فى الزواج « خجلا» من أن يتكرر الرفض . . . نعم . .
لقد عرف الولد « أونكل » ظريفاً .. لطيفاً . . . يتعامل « بأدب» شديد . . .

ولكنه . . هنا . . يجده . . . مهيباً . . يشخط . . وينطر . . وترتعد أمامه . . .
النفوس . . .

وطلب « الولد » من خاله . . . أن يتفرج . . . على هذه « المملكة » التى يتربع . . . خاله على عرشها . . .

فأصدر الخال . . . أوامر . . . بالسماح « للولد » بالفرجة على المكان . . .
وفتح جميع . . . الأبواب المغلقة له . . . حتى يتعرف بنفسه على طبيعة العمل الذى يمارسه « أونكل » . . .

ورغم : : أن . . « الولد الشقي » كانت لديه فكرة مسبقة عن طبيعة العمل الذى يمارسه خاله كقائد . . . لهذه المستعمرة : . .

إلا أنه : : : أصيب . : بدهشة بالغة . . . عندما وجد فى هذه المستعمرة : : : مجموعة كبيرة من الأطباء . : والمحامين . . . والمهندسين . . . والصحفيين . . : والكيميائيين : : . والجيولوجيين . : . والمدرسين . . . الخ من هذه المهن . . . التى كان الولد « يحترمها » من قبل . . .

ولكنه . : . يجدها . . . هنا . . . تلبس أردية : : خاصة موحدة . . وع تلو وجوهها الكآبة . : . والانكسار : .

لكم تمنى أن يلتحق بكلية الزراعة . . . أو كلية الطب البيطرى بعد أن ينتهى من مرحلة دراسته الثانوية العامة . . . ليصبح . . مهندساً زراعياً . . أو طبيباً بيطرياً . . حتى يؤدى عملا . . بعد تخرجه . . . يتفق مع هواياته . . فى زراعة الزهور . . والورود ونباتات الزينة . . . أو تربية الطيور . . والعصافير . . .

ولكنه . . بعد أن رأى . . . ما رأى . . فى مملكة « أونكل » فكر كثيراً . . . وهداه تفكيره الصغير : : إلى « حقارة » هذه المهن « وتفاهتها » . . . وضآلتها . . « وحقارة » أحلامه السابقة : . أن يصبح مهندساً زراعياً : : : أو طبيباً بيطرياً . : أو حتى طبيباً بشرياً . . : وتمنى : : : أن ينعم الله عليه . : : ويحقق . . له أمنيته الجديدة . . فيصبح واحداً من « العاملين » : : فى مملكة « أونكل » . . .

وعندما . . وجد « الولد » أن مرافقه . . كان خلال جولته داخل المستعمرة يضرب : : هؤلاء المثقفين . : : بالكرباج . . . الذى يمسكه فى يده . : . سأله عن امكانية : . قيامه هو شخصياً . . بتأديب . . واحد من هؤلاء المهندسين . :

رحب مرافقه بهذا الطلب . : لأن : : « الولد » . . لو . . « انبسط » . . فان خاله : : « سينبسط » . : تلقائياً : : :

وهكذا يعم « الانبساط » : : : أرجاء المملكة . : : وهذا « الانبساط » : : له فؤاده : : بطبيعة الحال : : :

وبدأ المرافق . . يفتح الأبواب المغلقة . : « للولد » بعد أن أعطاه . : كرباجه الخصوصى : : :

وتبدأ اللعبة الظريفة : : :

يفتح الباب المغلق . . .

ثم : . . معاينة سريعة : : « للكائن » الموجود بداخلها . . .

يحدد « الولد » : : عدد الكرابيج . : المطلوبة : : « للكائن » . : :

يبدأ « الولد » فى تنفيذ : : : العدد : : المطلوب . . وعندما تتعب يده الطرية التى اعتادت غرس زهور : : وإطعام العصافير : : عندما تتعب : : هذه اليد من مشقة : : الضرب : : : يكمل المرافق « للولد » : : العدد . . الذى تحدد : : فى بداية المعاينة . . .

وخلال أيام قليلة : : :

أصبح « الولد » مقيماً : : بشكل : : كامل مع خاله . : . وهويقوم بعملية مسح لكامل : : « جحور » . . . المستعمرة : :

كانت ضحكاته الرقيقة : : تسمع فى : : أرجاء المستمرة : : كلما رأى الذعر : : فى عيون الرجال . : الذين كان لبعضهم « شوارب » : : ومع ذلك : : كانوا يصابون : : : بالذعر . . بمجرد . . أن يفتح الباب المغلق . . ويرون الولد الصغير الشقى : :

وعندما . . . كان الولد . . يجد رجلا . . غير مذعور . . كان يحدد . . . له . . عدداً أكبر من الضربات . . ولايستريح . . إلا عندما . . يراه . . وقد أصابه الذعر الكامل . . .

عندها يشعر « الولد » . . . بالارتياح . . . وينتقل إلى . . . رجل آخر . . . وهكذا . . . يواصل . . لعبته الظريفة . . .

وفجأة . . .

انتهت الأجازة الصيفية . . .

وودع . . بنهايتها . . وإلى الأبد . . هواياته . . فى زراعة . . الزهور . . الورود . . ونباتات الزينة . . وتربية الطيور . . والعصافير . . .

كان الولد . . منقولا . . من السنة الأولى الثانوية . . إلى السنة الثانية .

ولذلك طلبت منه والدته . . أن يمتنع عن الذهاب إلى مملكة « أونكله » . . . وأن يبدأ فى الذهاب . . إلى مدرسته . . .

لماذا يذهب . . إلى المدرسة . . ؟؟

ولماذا يلتحق . . . بالجامعة . . ؟؟

لم يعد يهوى . . . تربية الطيور . . والعصافير . . .

ولا زراعة . . الزهور . . والورود . . ونباتات الزينة . . .

الهواية الوحيدة . . التى أصبح يهواها . . .

هى هواية . . . الكرابيج . . والجلد بالكرابيج . . .

والمهنة الوحيدة . . . التى أصبح . . . يتمنى من الله . . . أن ينعم عليه بها هى !

العمل . . . فى مملكة أونكل . . .

والهواية . . الجديدة . . والمهنة الجديدة . . . لاتحتاجان إلى مدرسة . .
أو جامعة . . . أو شهادة . . أو مذاكرة . . ومحاضرات . . وسهر . . وقلق . . .

لقد تعلم . . أصولها . . . وقواعدها . . على يد المرافق الذى كلفه . . أونكل بمرافقته . . وهو يتفرج على المملكة . . الشاسعة . .

ويرفض « الولد » . . أن يطيع . . أمر والدته . . بالذهاب إلى المدرسة . .

وتحت التهديد . . . والوعيد . . . من أونكله . . . يضطر « الولد » . . أن يعود إلى المدرسة . . . وأحاسيس جديدة . . ومشاعر جديدة . . وأفكار جديدة . تجتاحه . . .

وبعد أيام . . من عودته للمدرسة . . .

بدأ « الولد » . . يفتقد . . تلك الأحاسيس الرائعة . . التى كانت تملؤه . . بالنشوة . . وهو فى مملكة « أونكل » . . .

وفكر قليلا . . . ثم قرر شيئاً . . .

* * *

وفى اليوم التالى . . .

ذهب إلى المدرسة . . وقد وضع . . . كرباجه . . . بين كتبه . . . وكراريسه . .

وفى « الفسحة » . . . أخرج . . الكرباج . . . وبدأ يضرب . . . زملاءه التلاميذ . . .

ومع أن « الرجال » . . . الذين . . . لهم (أشناب) . . . كانوا . . . يتقبلون الضرب فى طاعة . . . وأدب . . . واستسلام . . . إلا أن . . . « هؤلاء التلاميذ » كانوا غير مطيعين . . .

وبدأوا . . يعتدون على « الولد » . . . حتى أنه ضرب علقة ساخنة . . وبنفس

الكرباج . . من تلميذ أكبر منه سناً وحجماً . . وأكثر منه قوة . . . بعد أن اعتدى عليه « الولد » بالكرباج . . .

ولم يستطع . . . ذهن « الولد » أن يستوعب التناقض الغريب . . . بين طاعة « الرجال » فى مملكة « أونكل » . . . وعدم استسلام « هؤلاء » التلاميذ الصغار لضرباته لهم بالكرباج . . .

وأرغمت . . إدارة المدرسة « والد . . » على . . عدم إحضار الكرباج معه . . . إلى المدرسة . . حاملا كتبه . . وكراريسه فقط . . بدون كرباج . .

كان أيامها . . يبدو حزيناً . . صامتاً . . لايكلم أحداً . . ولايتكلم معه أحد . . .

وتوقف نهائياً . . عن أسئلته . . واستفساراته . . . وانتقاداته الساخرة المرحة . . . بدأ النوم . . . يخاصم جفونه . . .

وإذا ما غلبه النعاس . . . هب مذعوراً . . صارخاً . . وأشباح « الرجال » الذين . . كان يضربهم . . فى مملكة خاله . . تطارده . . .

وأحست الأم . . بعد فترة . . . أن « الولد » يحتاج . . أن يعرض . . على طبيب لمعرفة . . سبب هذا الاكتئاب . . . الذى ينتابه . . . وفقدان الشهية للطعام . . . والحرمان من النوم . . . والصرخات المذعورة . . . التى تنتابه كلما حاول . . أن يغفو . . . .

وفحصه الطبيب . . . ورفض أن يكتب له « روشته » . . .

قال للأم . . . !

انه يحتاج أن يعرض على طبيب نفسى . . .

وفحصه أستاذ فى الأمراض العصبية والنفسية . . . ورفض أيضاً . . أن يكتب له « روشته » قائلا للأم . . .

. ! سيدتى . . ! . . لقد تأخرت قليلا .

يجب أن يعالج « الولد »

فى إحدى مستشفيات الأمراض العقلية . . .

وفى النهاية . . .

لم يكن هناك . . . أبداً مفر . . . ذبلت . . . نباتات الزينة . . .

والورود . . . والزهور . . .

ماتت . . أوقتلت . . . الطيور . . .

وتغريد الطيور . . والعصافير . . . وزقزقة العصافير . . .

واختنق . . . الحب . . والجمال . .

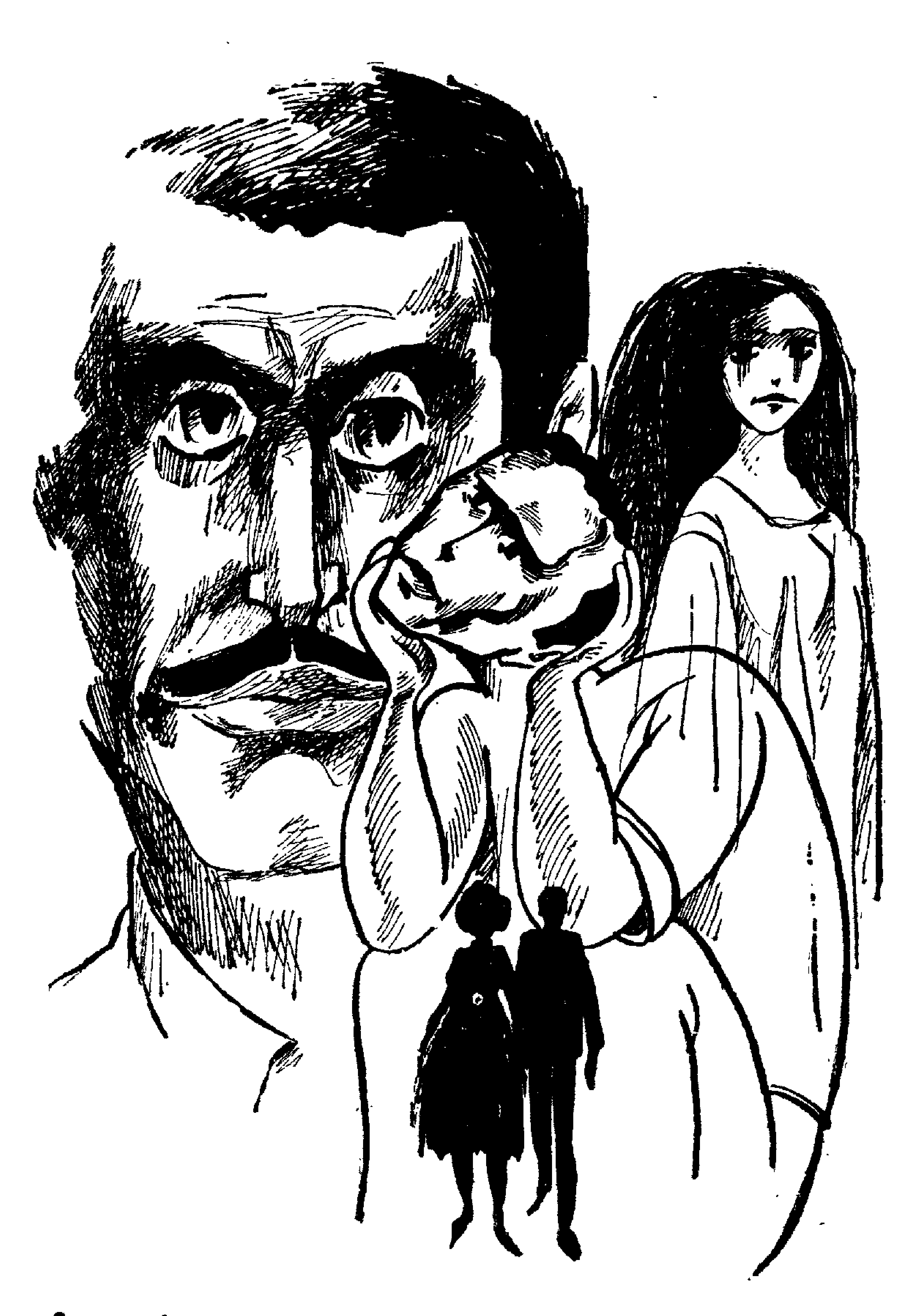
وسقط الربيع . . .

ولم يبق . . .

سوى الجنون . . .

كل الجنون . . .

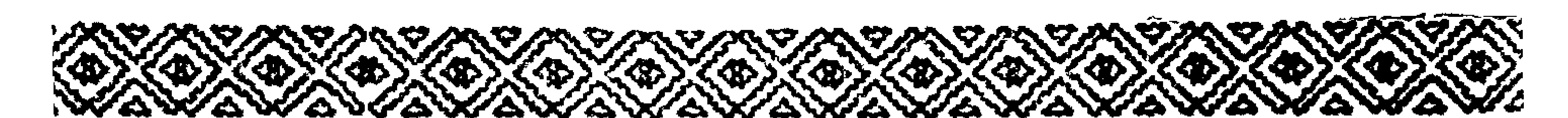




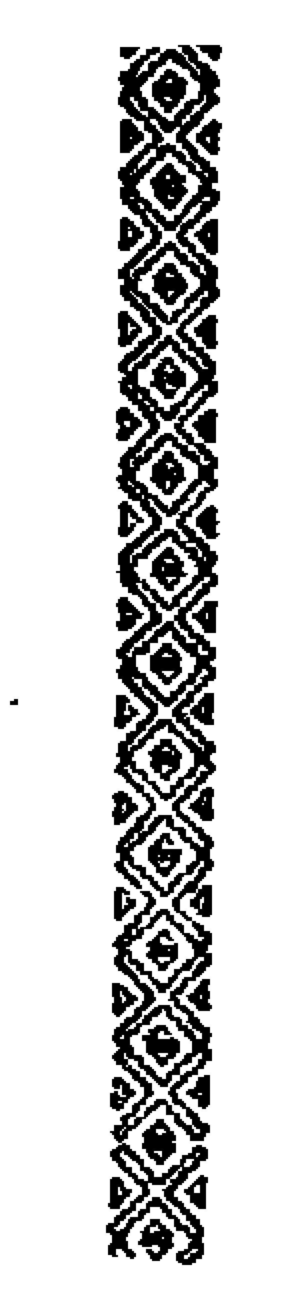
● حبيبى .. وهل يتصور هذا احد ..؟ ●

حبيبى ...
وهل يتصور هذا أحد ؟





● لقد قاومت (....) طوال يومين
كاملين ...
وهناك رجال انهاروا .. بعد دقيقتين
من مجيئهم الى مبنانا السحرى الرهيب ...
وحتى وهى ((تنهار)) .. كانت تنهار ..
من أجلك ...
فعندما أدركت أنها ((ستفقد)) أعز
ما تملك ...
انهارت ... لأنها أصرت فى عناد شرس
مجنون ...
ان تحتفظ ((بعذريتها)) لك .. ولك
وحدك .. !!! ●



حبيبتى ..
هل يتصور هذا أحد

كانت طرقات عنيفة ومتتابعة . . واستيقظ الأب فزعاً . . فتح الباب وهو يستطيع أن يميز الوجوه التى يراها فى ضوء الفجر الشاحب .

ــ مش ده بيت الأستاذ (. . . .) . . ؟ ؟

ــ أيوه . . . بس هو مش موجود . .

ــ أمال هو راح فين . . ؟ ؟

ــ ده ماجاش من امبارح . .

ــ طب لوسمحت نفتش الأوده بتاعته . . ؟ ؟

وتقدمهم الأب . . وهو لايفهم شيئاً مما يحدث . . دخلوا الحجرة كانوا خمسة . . قلبوا كل شىء فى الحجرة رأساً على عقب . . الأوراق . . الكتب الملابس . . السرير . . المرتبة . . اللحاف . . المخدات . .

سألهم الأب . . . ما هو الخبر . . ؟ ؟

أجابوا . . انهم لا يعلمون شيئاً . . أكثر من أن لديهم تعليمات بتفتيش المكان وإن ابنه مطلوب للاستجواب . .

بعد أن انتهى كل شىء . . انصرف أربعة من الرجال . . وبقى الخامس فى الشقة وقالوا للأب . . إنه ضيفك حتى يعود الابن فيصحبه معه . .

ظل الرجل ضيفاً إجبارياً ثقيلا على المكان . . .

لم يذهب الأب إلى عمله . . واضطر أن يبقى فى المنزل مع هذا الضيف المرعب . .

حاول الأب أن يرسل ابنه الأصغر إلى المقهى . . لكى يشرف على العمل بدلا من أبيه .. لكن الضيف أخبره أن أحداً لايستطيع أن يغادر المكان قبل أن يظهر الإبن الغائب .

وحضر (. . . . .) صبى القهوة فى نهاية اليوم وأعطى الأب ايراد القهوة وأحس الصبى أن هناك شيئاً مريباً يحدث فى شقة المعلم لأول مرة . . . إنه يعرف المعلم جيداً ولابد أن شيئاً فظيعاً قد حدث . .

كان الرجل الغريب يجلس . . . وصبى القهوة يحاسب المعلم على إيراد القهوة اليومى، وعندما قام الأب .. يودع صبيه إلى الباب ... قام الرجل الغريب ولازمه حتى باب الشقة . . . وازداد إحساس الصبى . . . بخطورة الأمر . . .

وفى الطريق إلى المقهى قابل الصبى . . . الابن . . الأستاذ (. . . . .) بينما هو يفكر فى الأحاسيس الغريبة التى تتقاذفه بعد زيارته لمنزل المعلم (. . . .) ، وأخبر الإبن بقصة الرجل الغريب ، كما أخبره أنه يشعر . . أن هناك شيئاً مريباً يحدث فى المنزل . .

وكان حديث الصبى . . مع الإبن بمثابة جرس الإنذار . .

لم يستطع أن يكمل الطريق إلى منزله . . واستدار فى اتجاه منزل أحد الأصدقاء وأحس أنه يجب ألا يدخل « المصيدة » بقدميه . .

لقد كان منذ فترة يشعر أن هناك من يتبعه من بعيد . . . وكان هذا الإحساس ينتابه ثم ينساه فى غمرة مشاغله اليومية . .

وفى المرة الأخيرة التى قابل فيها حبيبته . . كان يشعر أن هناك من يتبعه من بعيد . . لم يحاول يومها أن يلتفت وراءه . . . فقط ضغطت يده على كتفها . . فنظرت إليه متسائلة .

مالك يا (. . . . .) ؟ ؟

ولكنه وقتها لم يستطع أن يقول لها شيئاً . . كل ما قاله :

: : أبداً يا (. . . . .) مفيش حاجة . . أنا بس محتاجك قوى . . محتاجك جنبي . . لغاية ربنا ما يسهل . . واقدر أعيش معاكى . . بعيد . . بعيد قوى . . عن كل الحاجات اللى ممكن تفرقنا عن بعض : :

دارت هذه الخواطر فى ذهنه وهو يحاول أن يبتعد مسرعاً عن منزله . . كان متعباً من السفر . . وكان يشعر أنه لم يعد يقوى على أن يحمل الشنطة . . منذ أن قابل صبي المقهى :

وأحس بالخطر يحاصره . . . وأحس أكثر . : أن فتاته تناديه : : أن يبتعد عن هذا الخطر . . كما . : تأكد أن كل ماكان يشعر به مبهماً غامضاً . . فى الأسابيع الأخيرة كان حقيقياً : :

وبدأ ذهنه المكدود يعمل بسرعة : :

لابد أن يتصل ب (. . . . .) حبيبته : :

وذهب إلى أحد الأصدقاء .. وحكى له القصة كاملة .. وقدم الصديق الحل..

: نستطيع أن تتصل بها عن طريق أختى . . وتستطيع فتاتك أن تتصل بالمنزل كصديقة لأخواتك البنات : :

وبالفعل قامت الأخت بالاتصال بفتاته . . وتقابل معها : : وأخبرها أنها مكلفة بمهمة الذهاب إلى المنزل لاستكشاف الموقف . .

ورغم كل شيء استطاعت الفتاة أن تدخل شقة أسرة فتاها : : وأدركت منذ اللحظة الأولى : . أن هناك شيئاً مرعباً قد حدث فى البيت . :

وبعد فترة أمكنها أن تعرف . . كل ما حدث . : من إحدى أخوات حبيبها : : وتم هذا فى المطبخ بينما كانت الأخت تتظاهر بعمل الشاى للضيفة . .

وانصرفت الفتاة . . بعد أن عرفت كل شيء . . ولم تنس أن تطمئن الأخت على (. . . .) وأخبرتها أنه بخير . . وأنه هو الذى بعث بها . . ليعرف حقيقة ما جرى . . بعد أن قابل بالصدفة صبي المقهى . . وحدثه بما أثار الشك فى نفسه ..

فى الموعد المحدد . . . التقى الحبيبان . . .

كانت الفتاة فى ذروة انفعالها .. وهى تشعر أنها تحارب جيشا رهيباً .. بمفردها دفاعاً عن حبيبها . . .

وكان هو . . كعادته . . . هادئاً يفكر فى الموقف . . قبل أن يتخذ قراره الحاسم . . .

فى البداية . . فكر فى الاستسلام . . والذهاب إلى المنزل . .

إنه يعرف أنه لم يرتكب شيئاً مشيناً . . ولا يمكن أن تكون هوايته للأدب وقراءته للقصص . . واشتراكه فى الندوات الأدبية تهمة تستدعى أن يهرب من منزله . . وأن يمضى بقية عمره مطارداً . .

لكنها قالت له . . . انهم فتشوا المنزل . . وأخذوا الكتب والقصص . . وأن هناك من ينتظره فى الشقة . . وانها لن تعرف عنه شيئاً إذا ما أخذوه . . .

وفى النهاية قالت له بدموعها . .

أنا مقدرش أعيش من غيرك . . .

مش ممكن أسمح إنك تسلم نفسك ليهم ..

أنا محتاجاك جنبي . . . ابعد عنهم . . وأنا حافضل جنبك على طول . . أنا عايزاك بخير . . وكل شيء مقدور عليه . . إنما انك تقع فى أيديهم . . لأ . . مش ممكن . . احنا لقدر ندبر كل حاجة . . المهم انك تكون بخير ياحبيبي . .

واستمرت المناقشة . .

وقال هو لها . .

- : إن هذا معناه عدم ذهابه إلى العمل وكيف يستطيع أن يعيش بدون عمل . .

وقالت هي :

- : مش مهم .. أنا باشتغل واللى معاى نقسمه مع بعض .. المهم انك تشوف مكان بعيد تقدر تحس فيه بالأمان . . وأنا حا أعمل لك كل حاجة . . وما تحملش هم : : والدك أهو موجود . . واخواتك موجودين . . وأصحابك موجودين . . وكل الدنيا حتقف جنبك ياحبيبى .

فى نهاية المناقشة . . أحس أنه يمتلك حريته . . ويمتلك الدنيا كلها . . وودعها دون أن يرى دموعها . : ومضى فى طريقه يشعر أنه قوى وعملاق . .

ولم لا . . ؟ ؟ وحبيبته صلبة وشجاعة ، وعذبة وجميلة فى نفس الوقت . . واستمر فى طريقه دون أن ينظر خلفه . .

وفى حجرة أحد الأصدقاء . : أحس أخيراً . . بشىء من الراحة . . وأسلم نفسه لنوم عميق . .

بعد يومين . . صدرت التعليمات . . إلى الضيف الإجبارى بالرحيل عن البيت . . بعد أن كتب الأب إقراراً بتسليم ابنه بمجرد عودته إلى البيت . .

وأحس الأب بسعادة غامضة : : لأن الابن بعيد عن كل هذا الشر . .

وبعد فترة بدأ القلق ينتابه على الولد : : : كيف يعيش : : : ؟ وماذا يأكل وأين ينام . . ؟ ؟

كان الحزن الدائم فى عينى الأم . . هو عذاب الأب الدائم . .

لم تكن الأم تتكلم : : لكن دموعها المعلقة فى عينيها كانت تحفر القلق فى نفس الأب . .

يوماً بعد يوم : : بدأ يشعر أنه فقد الإبن الغائب بعد تعب السنين . . فقده وهو لايملك شيئاً أغلى منه : : فهو ابنه : : وهو زهرة العائلة وفتاها المحبوب المثقف : : الوديع الجرىء . . الشجاع : : اللامع . .

وفكر الأب فى لحظة أن عليه أن يبحث عن ابنه ويسلمه لهم . . لأنه يثق أن ابنه برىء : : ولابد أن هناك خطأ ما فى الأمر : : ربما تشابه فى الأسماء : : ربما سوء فهم لإحدى قصصه . . التى يقرأها فى الندوة الأدبية : : ربما : : ربما : : ربما

لكن الحزن الدائم فى عينى الأم . . عذاب ما بعده . . عذاب : :

فى نفس المكان جلس ينتظرها . . .

مرت الدقائق قاسية : : ثقيلة : : موحشة . .

انها الخيط الوحيد . . الذى يربطه : : بعالمه . .

أخيراً : : ظهرت . . جاءت . .

نظر فى ساعته . . انها لم تتأخر سوى خمس دقائق فقط . . ياللعجب . . أن نظرية النسبية أثبتت صحتها : : لقد مرت الدقائق الخمس . . وكأنها سنين طويلة : :

واحتضنته الفتاة بنظرتها وهى تحتويه بحنانها :

. : مالك يا حبيبى . . . ؟؟

فيه حاجه . . . ؟؟

اتأخرت . . ليه . . . ؟؟

أبداً . . مفيش حاجة : : أصلى ركبت الأوتوبيس . . وبعدين حسيت انى لازم أنزل فجأة : : يمكن يكون فيه حد وراى . . . ونزلت . . وقفت على محطة الأوتوبيس : : لغاية ما اتأكدت أن مفيش حاجة . . بعدين ركبت تانى . . وجيت لك على طول يا حبيبى : :

وقبل أن تستريح أنفاسها تواصل حديثها العذب :

وانت ازيك . . ؟ عامل إيه . . ؟ جبت لك الملوخيه ياسى (. . . .) أى حاجه نفسك فيها حا أجيبهالك .

ياسلام يا (. . . .) انت إنسانة عظيمة . . أنا ماكنتش أعتقد إطلاقاً ان فى بلدنا بنت بالعظمة دى . . وتسرق الملوخية من ورا أمها عشان تأكل حبيبها الغلبان .

بلاش خطب ياسى (. . . .) عظيمة عشان سرقت شوية ملوخية ؟ ودى تبقى عظمة دى . . ؟ انت اللى عظيم ياسى (. . .) عشان مدوخ الدنيا كلها عليك ومدوخنى أنا كمان معاك . .

مش هى دى فكرتك . . والا تعبت بسرعة . . إحنا لسه فى أولها . .

تعبت . . ؟ ؟ تعبت إيه ياسى (. . . .) . . ؟ أنا عايزه أتعب وراك العمر بطوله يا حبيبى . . .

وأحس أنه يرغب . . فى أن يمسح بشفتيه يديها . . حباً . . وإعجاباً . . وعرفاناً . . أحس أنها الوحيدة . . التى يجب أن تكون أماً لأطفاله . . . ولفه شعور بالخجل من نفسه . . . فكم كان مقصراً فى حقوقها . . وسط دوامة العمل اليومى والنشاط الأدبى . . ومسئولياته العائلية . .

وتمنى . . لو أن الظروف تسمح له . . أن يرد لها جزءاً . . . من عطائها غير المحدود . . . ولم يستطع أن يخفى عنها كل ما يحسه . . ويشعر به منذ أن اختفى عن العالم وعاودتها روحها المرحة . .

وقالت له : انها تتمنى أن يظل مختفياً طوال حياته حتى يمكنها أن تقدم له المزيد من العطاء وحتى . . وهذا هو الأهم . . لاتخطفه منها واحدة من إياهن . .

فى نهاية اللقاء . . أحس وهو ينظر إليها . . كأنه طفل صغير . . لايرغب أن تتركه أمه وحيداً . . وأحست بنظرته . . ولم يفارقها مرحها . .

وبعدين . . بقى ياسى (. . . .) ما فيناش من الدراما . . . ياحببى . . .

وضحكا سوياً . . .

وفجأة . . . خطرت له فكرة مباغتة .

ايه رأيك يا (. . . .) تيجى نتجوز . . . ؟ ؟

ونظرت إليه . . . مذعورة من المفاجأة . . ثم تماسكت . . وهى تجيب :

وإيه أهمية الموضوع ده دلوقت . . . انت بتفكر فى جوازنا . . والا فى مستقبل جوازنا ده . . مقدور عليه . . لكن المهم . . دلوقت . . انت . . انت وبس . .

لأ . . يا (. . . .) أناشايف إن مفيش حاجة ممكن تمنع جوازنا . . أنا محتاجك جنبى . . مش قادر أسيبك . . لازم نتجوز . . يعنى لازم نتجوز . . والا يعنى انت لازم تتجوزى على طريقة بنات الأيام دى . . . شبكة . . ومهر . . وعفش . . وفستان أبيض . . وزفة وفرح . . وكلام فاضى من ده ؟ ؟

أبداً يا حبيبى . . ما انت عارف كويس . . أنا مبيهمنيش الشكل . . أنا كل اللى يهمنى الجوهر أهم شىء إنى باحبك وإنك بتحبنى . . بس . .

بس إيه . . . ؟

قصدى مش وقته . .

مش وقته إزاى . . . ؟ . . دى هى دى فرصتى الوحيدة . . عشان أتجوزك بالطريقة اللى أنا عايزها . .

اللى تشوفه يريحك : : اعمله : : وانت عارف ان كل شىء فى ملكك . .
كل شىء . : . ؟ ؟
ماانت عارف . . ياسى (: : : :)

تعرفى يا (. . . .) كل ما بلاقى نفسى وحيد فى الأوده . : باستغرب : : طب ليه انت هناك . : وأنا هنا . : ؟ ليه : . مادام بنحب بعض . . وما بنستغناش عن بعض ؟ ليه ما نكنش مع بعض على طول ؟ ؟ حبيبتى ده الحل الوحيد : . نتجوز لازم نتجوز : : حتى ولو ليوم واحد وبعدين اللى يحصل يحصل . .

ولم يسمح هو : : لها : : أن تنصرف قبل أن تعلن اقتناعها الكامل بأن هذا الاقتراح المجنون : : : هو التصرف العاقل الوحيد فى هذا العالم المجنون : :

وبعد أن افترقا أحس (: : : :) أن هذه الأيام العصبية التى يمر بها . . قد صنعت منه إنساناً حقيقياً جديداً . : : وصنعت من حبيبته إنسانه حقيقية جديدة . :
ونام : : وهو يحلم بلقاء الغد : . فى نفس المكان : . ونفس الزمان . . .

آه : : : ما أبشع الانتظار : . .
لم : : تأخرت : : حتى الآن ياحبيبتى . . ؟ ؟
أشعر أنى على وشك الانهيار . . .

لماذا . . تأخرت اليوم يا (: : :) وما الذى أخرك . . ؟ . . ألا تعلمين ياحبيبتى أنى انتظرك : : منذ أن تركتك بالأمس : : ؟ ؟ . . ألا تعلمين : : كم احتاجك اليوم : : ؟ ؟

كل شىء فى ذهنى : : قد أصبح واضحاً : : جلياً : : محدداً : :
من أجلك يا (: : : :) سأظل طليقاً : : سأظل حياً : : سأحتمل كل شىء :
ولكن : : : لماذا : : يا أملى : : لاتأتى : : وأنت تعرفين أنك أصبحت كل شىء : : ؟ ؟

ما الذى يمكن أن يكون قد حدث . . ؟ ؟

هل عرف أهلك . . بأنك اقتنعت . . بأن اقتراحي المجنون . . هو التصرف العاقل الوحيد فى هذا العالم المجنون ؟ ؟ فأصروا على أن يزوجوك على طريقتهم الخاصة من ابن صديقة أمك . . الشاب الذى يتميز ببياض بشرته وبعينيه الزرقاوين حتى تكيد أمك العوازل والشامتين ببياض بشرته . . وزرقة عينيه . . وحتى يرتاح أبوك من مشكلتك . . وحتى يضطر أبوك بشراء ملابس جديدة لإخوتك يحضرون بها حفل زفافك . . ؟ ؟

وقلبك . . . وحبك . . وإرادتك يا حبيبي ؟ ؟

لماذا لاتتمردين ؟ ؟

لماذا تستسلمين ؟

صحيح أنهم أقوى منك . . ولكن قلبك . . وحبك وإرادتك أقوى من الدنيا كلها . .

أنا واثق . . أنك مستحيل . . أن تغدرى . . أن تخونى . . لأن قلبك لن يكون لأحد سواى . .

ولكن لماذا لم تحضرين . . ؟ ؟ وتصارحيني عما حدث . . ؟

هل منعوك حتى من الخروج من المنزل . . ؟

مستحيل أن يكون شيئاً من هذا قد حدث .

لابد أنها شعرت بأن أحداً يتبعها . .

صحيح . . لقد قلت لك من قبل إذا شعرت بأحد ورائك يتبعك فلا تأتى إلى

ولكنى اليوم ... واليوم بالذات . . بل وكل يوم . . فى لهف على أن أراك . .

أضمك إلى صدرى فى حب وحنان . . أروى عطشى من شفتيك . . أبدد مخاوفى من نظرات عينيك المشرقة العذبة المتفائلة .

.. أحمى نفسى من هواجس وقلقي .. فيك .. وبك .. أريد أن أراك .. حتى ولو كان وراءك جيوش العالم كلها ...

وهبط الظلام ... وهو مازال ينتظر ... والحبيبة .. لاتجىء .

وفى اليوم التالى .. انتظرها .. فى نفس المكان .. ونفس الميعاد .. والحبيبة لاتجىء ...

فى اليوم الثالث .. ذهب إلى مكان اللقاء .. وفى نفس الميعاد .. ليجدها تجلس على نفس المائدة — التى شهدت أحلى ذكرياتهما — تنتظره ..

يالمفاجأة ... وتقدم نحوها بل جرى نحوها ... أخيراً عثر عليها أخيراً أخيراً جاءت ... مستحيل هذا الذى يراه ..

أين ابتسامتها العذبة التى تشرق وتزين وجهها .. ؟

أين بريق عينيها المرح المتفائل .. ؟

أين تورد خديها الطازجين ... ؟

ما الذى حدث .. ؟ ارحميني ياحبيبتى تكلمى ..

لاتتركيني لمزيد من التمزق والهواجس والجنون ... ؟

ولم ترد الحبيبة ...

ودموع غزيرة حارة .. تشق لها مجرى محفوراً فوق خديها .

لكن صوتاً أجش ... جاء من خلفه ليرد على تساؤلاته ..

مفيش حاجة يا أستاذ (....) هى ضميرها استيقظ .. واحضرتنا معها لاستلامك أنت فاهم إيه .. ؟ حتروح فين ... ؟ حتستخبى مننا فين .. ؟ يالله ياسيدى ضيعت وقتنا وررانا حاجات كتير أهم من سعادتك .

لم يسمع (....) شيئاً مما ردده الصوت الأجش البغيض ..

كان ينظر فقط لحبيبته وهى لاتنظر نحوه على الإطلاق . .

كان يريد أن يفهم . . . لكنهم أخذوه بعيداً عنها وتركوها وحدها . . .

العربة الأنيقة السوداء يفتح بابها . . . وفى تهذيب شديد يفتح له الرجل الأنيق باب السيارة :

اتفضل يا (. . . .) بيه . .

وتتحرك السيارة . . . وفى أدب جم يطلب منه الرجل الأنيق أن يضع رأسه فى « دواسة » السيارة لمدة دقائق قليلة . . .

وتنطلق السيارة بأقصى سرعتها . . .

كل شىء عادى . . .

الناس يمشون فى الشوارع . . كالحيارى والتائهين . . .

الأتوبيسات يتكدس فيها أشباه الآدميين كعاب السردين . . .

الطوابير . . والصراخ . . والتحايل والزحام . . . أمام الجمعيات التعاونية

والموظفون مكدودين . . . تمتلئ رؤوسهم بمتاعب هائلة . . وليس فى رؤوسهم متسع لما هم مكلفون به . . . من أجل الناس . .

والبشر . . تحولت إلى ذئاب تنهش أجساد بعضها . .

والمهربون . . وتجار القلق والأزمات . . . تتزايد أرصدتهم فى البنوك . . .

والمنتفعون المحظوظون كما هم . . يتصرفون . . فيما أوكل إليهم . . . وكأنها عزب أوضياع .

والصحف تصدر بانتظام لتبيع لقرائها . . الأحلام والسراب . . والخيال وتحرق البخور . .

والسيارة الأنيقة السوداء . . تخترق الشوارع بأقصى سرعتها . . ولا يظهر منها سوى . . رجل أنيق . . يخفي بجواره رجلا وضع رأسه فى « دواسة » العربة

والرأس المسكين . . فى داخله طاحونة من الأفكار . . تحاول أن تفهم شيئاً مما يجرى فى هذا العالم . . دون جدوى . .

كيف يمكن (. . . .) أن يفهم . . ؟

كيف يمكن له أن يستوعب كل ذلك الذى يجرى . . . بينما كل شىء يسير . . والسيارة الأنيقة السوداء . . أيضاً تسير وتخترق الشوارع . . ولايظهر منها سوى الوجه الحليق لذلك الرجل الأنيق . . ؟

أما الرأس المنكس داخل العربة الفارهة الأنيقة السوداء . . فلم يكن يفكر فى شىء . . . إلا حبيبته . . .

كيف يمكن أن يحدث هذا ؟

حبيبتى . . أختى . . أمى طفلتى . . ابنتى . . أم أطفالى . . .

أنت . . . وأنت بالذات ياحبيبي . . التى تحضرينهم لاستلامى . . ؟

لماذا . . . ؟ وكيف . . ؟ ربى . . إنى أكاد أجن . .

لقد خسرت كل شىء . . ضاع كل شىء . . بعد أن فقدتك . .

أنت يا (. . . .) هل أصبحت يهوذا . . يا حبيبتى . . بعد أن كنت إيمانى ويقينى . . وحقيقتى العظيمة الرائعة . . ؟ ؟

أنت . . يا أعز الناس . . يا أقربهم إلى روحى . . يا عطائى المذهل غير المحدود . . ؟

هل أنت واحدة . . أم أنك اثنتين . . ؟

اليوم . . لم يكن وجهك هو وجه حبيبتى .

لماذا لم تنظرى نحوى على الإطلاق . . ؟ لماذا كانت نظراتك تهرب منّى : : ؟

ما الذى حدث . . ؟

وتتبدد الصرخات والآهات فى الفضاء : : :

ثم يعود صداها يجلجل من جديد . . .

ولكن دون جدوى . . . .

فلتصرخ ياسيد (. . . .) إلى الأبد . . فلن تعرف الحقيقة على الإطلاق . :

أنت أبله . : : ساذج : : ويجب أن يصطدم رأسك بالصخور حتى تفيق وتدرك أننا قوة خارقة . . لاتقاوم . . وليس هناك قوة على وجه الأرض تستطيع أن تقف أمامنا . :

ولكن يبدو أنك كنت تسيطر تماماً . . على هذه الفتاة الملعونة كنت تعشش فى داخلها . .

لقد قاومت طوال يومين كاملين : :

وهناك رجال انهاروا بعد دقيقتين من مجيئهم إلى ميناءنا السحرى الرهيب .

وحتى وهى تنهار . . كانت تنهار من أجلك : :

فعندما أدركت أنها ستفقد أعز ما تملك : :

انهارت . . : لأنها أصرت فى عناد شرس مجنون : . . أن تحتفظ بعذريتها لك : ولك وحدك : :

وبهذه الطريقة الوحيدة : أمكننا أن نصل إليك : :

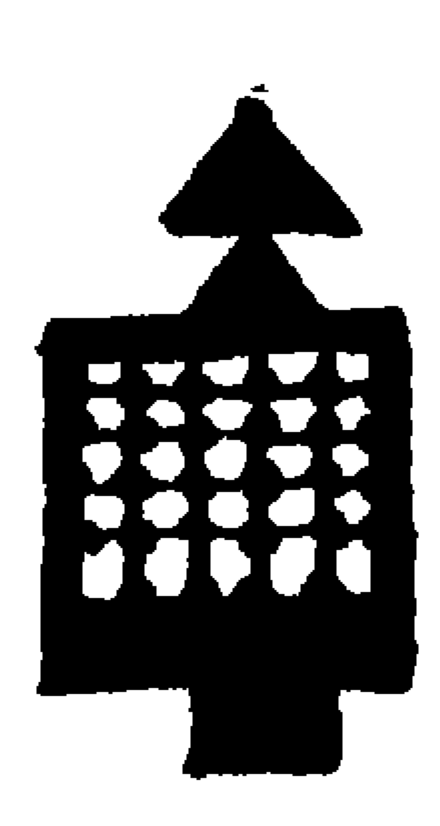
ولكنك ستظل تصرخ عمرك كله . . دون أن تعرف الحقيقة . .

ومن ذا الذى يمكن أن يتصور المجهود الذى بذله عشرة رجال أشداء مدربين مع فتاة عمرها . . اثنين وعشرين عاماً . . طوال يومين كاملين .. حتى ترشد عن مكان حبيبها . . ؟ ؟

من ذا الذى يمكن أن يتصور هذا المجهود المضنى .. الذى تفرضه علينا مهام وظائفنا الحساسة . . ؟ ؟

نعم من الذى يمكن أن يتصور .. ؟ ؟

وهل يتصور هذا . . أحد ياحبيبى .. ؟ ؟





● لا وقت . . للبكاء ! ●

لا وقت للبكاء!



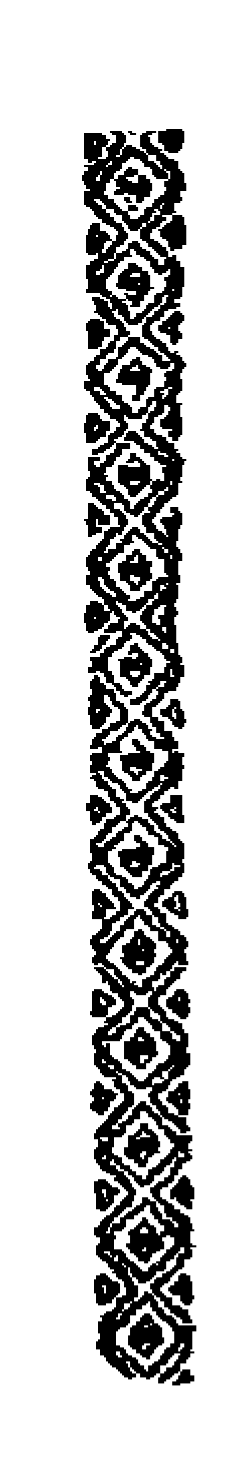


● وبمساعدة ((عملاقين)) آخرين .. اكثر اطاعة لأوامر الســادة العظام .. أمكن ((تكتيف)) ((...)) حتى ينتهى ((التومرجى)) من تحويل العملاق الأسمر الشاب .. الى احد ((الأغوات)) ...

لكى يكون ((عبرة)) للجميع ... ولكى لا يمكن لـ ((وحش)) آخر .. بعد الآن .. ان ((يعصى)) أوامر اسياده ...

ثم .....

ثم ... يصدر اصغر ((الأباطرة)) الأربعة ... أمــرا .. الى ((وحش)) آخــر ... لتنفيذ المهمة الدامية ... !!! ●



لا وقت للبكاء!

وأخيراً . . . صدر قرار بالإجماع بتحديد موعد الحفلة . .

ليلتها كانت أشعة القمر تتسلل من بين الأشجار . . . حتى لاتفوتها همسة مما يجرى فى هذا المكان . . .

فى الأعين الثمانية . . . لاحت رائحة النشوة . . مع تبادل النظرات . . . فى تلك اللحظات الرهيبة التى تسبق حفل الافتتاح . .

وعلى الجانب . . . الآخر انكمش جسد إنسان وهو يشم فى الجو رائحة النشوة . . فى الأعين الثمانية . . .

ويتشبث الإنسان بآخر ماتبقى من خيوط الإيمان والصمود . . وتتردد كلمة . . « يارب . . . « يارب» . . .

تتردد من الأعماق لكى تلف ذلك الرعب القادم . . فوق رعب مامر من أيام ماضية . . طوال . . .

ويبدأ المسرح فى حركة شيطانية مرتبة ومنسوجة بمهارة . . استعداداً لاستقبال المشهد الجديد . . . .

وتتسع استدارة وجه القمر . . . وتلمع خيوطه من بين الأغصان . . .

ويغرد طائر أبيض حلق فى السماء . . . ويختفى فى الأفق البعيد . . وهو يطلق عويلا كروانياً قبل أن يبتلعه الأفق الواسع . . . وتتسلل الخيوط القمرية فى حركة طليقة ومناسبة لتضىء المكان . . .

وهكذا . . نستطيع مع الأشعة المتسللة أن نرى المشهد . . .

خيمة مفتوحة من جوانبها الأربعة . . . انتصبت فى منتصف المكان . . .

إنسان تكوم فى منتصف الخيمة . . .

إنسان آخر . . اصطف حول أضلع الخيمة الأربعة . . .

وخلف الأضلع الأربعة . . . انتظمت مجموعة من الأشباح . . .

أرغمتها قوى وحشية أن تمسك بالمدافع الرشاشة . . مصوبة لى ظهور ذلك الإنسان .

الإنسان الذى تجرأ ذات . . يوم . . وحاول أن يستكمل رحلة البحث عن الحقيقة . .

وخلف منصة أنيقة جلس الشياطين . . .

كانوا . . أربعة من الأباطرة . . .

تفوح منهم الروائح الباريسية العطرة . . وهم يلقون بأوامرهم إلى مساعديهم فى صرخات متشنجة . . ويتحدثون فيما بينهم . . فى همسات . . . تعقبها قهقهات . . سرعان . . ما . . تختفى . . . يعلوهم الوجوم . . .

وفى لحظة الصفر . . .

تصدر إشارة . . . ما . . .

وبعدها يتقدم شاب عملاق . . ولد فى قرية من قرى الريف العديدة المتناثرة . . أسماه أبوه (. . . .)

ويأمره أحد الأسياد : : فى اللحظة . . أن يتقدم عارياً كما ولدته أمه . .

لكى ينتهك ذلك « الشيء » المكوم . . فى منتصف الخيمة . .

وأمام . . من . . . ؟ . . .

أمام الإنسان « العدو » . . الذى تجرأ ذات يوم وحاول أن يبحث بمفرده عن الحقيقة . .

ويقترب العملاق الشاب من فريسته . . .

يراها . . . ولا يراها . . .

سيدة ناهزت السبعين من العمر . . .

ملقاه وسط الخيمة المفتوحة . . .

يداها مكتفتان . . وراء ظهرها . . بحبال خشنة . . .

رأسها يتطلع . . فى ضراعة : : إلى السماء . . . .

وترتفع الصيحات المجنونة : : : !

اهجم . . ياوحش . . .

اهجم . . ياوحش . . .

ويزداد « الوحش » اقتراباً من فريسته . . .

والفريسة تنتفض . . فى ذعر . . .

وشفتاها : : ترتعشان . . بتمتمات غير مفهومة . . لايسمعها أحد . .

ودموع معلقة . . . فى عينيها . . . تلمع تحت أشعة القمر . . فى تلك الأمسية الكئيبة . . .

ويتحول الوحش . . . إلى قدمين مرتعشتين . . تتحركان فقط . . كانت قدما العملاق الشاب . . . تتحركان بارتعاش فى ميكانيكية إلى الأمام . . .

وجسده العارى يلمع تحت ضوء القمر . . .

وحبات العرق تتضح على كتفيه . . . غزيرة . . غزيرة . . .

وتزداد كلما اقترب من فريسته التى . . . يراها . . . ولا يراها . . .

ويسود . . صمت أشبه بصمت القبور . . فى ليال حالكة الظلام . . .

الأباطرة الأربعة يتطلعون فى اهتمام وشغف وبتركيز هائل . . نحو منتصف المسرح . .

وحول أضلع الخيمة يقف . . . مطأطىء العيون . . . الإنسان « العدو » الذى تجرأ ذات يوم وحاول أن يستكمل بمفرده . . رحلة البحث عن الحقيقة . . . ويتطلع إلى الأرض التى أنبتته . . .

ورأسه تصر على أن تظل مطأطئة . . . لاتريد أن . . ترتفع . . .

ويبدأ العملاق الشاب المسكين . . فى تنفيذ مهمته . . .

ويمزق الصمت الرهيب . . . صوت . . . !

ليه . . يابنى يا حبيبى . . . ؟ ؟ . .

حرام عليك . . .

دا انت فلاح . . ابن أرضنا الطيبة . . . وباين عليك أصيل

وابن ناس طيبين .

ليه . . يا ابنى . . ده أنا زى جدتك . . ؟

متسمعش كلامهم . . . دول بيقتلوك . .

فاهم يعنى إيه بيقتلوك . . .

كان إيقاع الصوت غريباً . . فى عمقه . . وقوته رغم خفوته . .

وكأنه يصدر من أعمق . . . الأعماق التى سحقتها الآلام . . .

نعم كان إيقاع الصوت . . غريباً . . . فى عمقه . .

فهو . . رغم خفوته . . كان واضحاً . . قوياً . . ومسموعاً . . حتى انه غطى على الصيحات البربرية . . المجنونة . . التى كانت تتصاعد من وراء المنصة تنادى « الوحش » . . ان يتقدم . . يهجم ولا يهاب . . .

لكى يعبر حاجز وجوده . . وإنسانيته . . .

ويتخطى فى ثوان قلائل . . التراث . . الذى أرضعته له أمه . . فى قريته العريقة وتتحول الفريسة إلى طيف يشع بملائكية فى أرجاء المكان . . .

ويتحول الوحش إلى كومة من اللحم العارى . . تزأر . . . فى تشنج . . . !

مش ممكن . . . مش ممكن . .

مستحيل . . . مستحيل . . .

مش عايز أموت قتيل . . .

مش عايز أموت قتيل . . .

وكان لابد أن يحدث . . أى شىء . . .

وبالفعل حدث . . .

ومعذرة . . يا إخوتى . . . ولكن . . هذا . . حدث . . .

أذهلت . . المفاجأة . . . أكبر الأباطرة . . .

فأصدر . . أمراً . . عاجلا :

وفى ثوان . . . تم تنفيذ الأمر العاجل . . .

وتحول نفس المكان . . . إلى غرفة عمليات . . أجريت فيها أغرب جراحة فى التاريخ جراحة استئصال عاجلة لذلك « الجزء » الذى رفض تنفيذ أوامر سادته العظام . .

ولم ينس الأباطرة . . . أن تتم عملية الذبح . . . أمام جميع شهود المسرحية . . . وعلى الفور . . .

وبمساعدة عملاقين آخرين أكثر إطاعة لأوامر السادة العظام . . . أمكن . . تكتيف (. . . .) حتى ينتهى « التمورجى » من تحويل العملاق الشاب . . إلى أحد الأغوات . . .

لكى يكون عبرة للجميع . . . ولكى لا يمكن لا « وحش » آخر بعد الآن . . أن « يعصى » . . أوامر . . . أسياده

ثم . . .

ثم . . يصدر أصغر الأباطرة الأربعة أمراً إلى « وحش » آخر . . . لتنفيذ المهمة . . الدامية . . .

وفى خطوات ميكانيكية مذعورة . . وسريعة . . .

تتقدم . . إلى الوراء . . حيناً . . وإلى الأمام . . حيناً . . آخر . . .

تقدم الوحش الجديد . . نحو الخيمة المفتوحة . . .

عيناه . . تشعان . . بالذعر . . والانسحاق . . والوحشية . . .

ويداه تمزقان . . ما تبقى من ملابس « الفريسة » فى . . جنون ورعب . . فى آن واحد

والفريسة مكومة . . . تتمتم . . . بدعوات لايسمعها أحد . . .

والأباطرة الأربعة . . . تعلو وجوههم نشوة الانتصار . . .

وتتحجر الدموع . . . صامتة . . فى عيون الإنسان الذى فرض عليه . . أن يشهد المذبحة .

فهو . . . أى الإنسان . . لايستطيع . . . أن يبكى . . .

لأنه ليس من حقه حتى أن يبكى . . .

لأن البكاء . . . يتطلب . . تصريحاً . . خاصاً . . .

والتصريح بالبكاء . : : لم يستصدر بعد . . .

ويحتاج استصداره : : لعدة : : إجراءات روتينية معقدة لابد منها . . . تستغرق وقتاً غير قصير . . .

ونحن . : . فى عجلة : : : من أمرنا . . .

إذن . : . فلا بكاء : : هذه الليلة . . .

نعم . . . .

لم يحن الوقت . . بعد . . . للبكاء . . .





• عروسة .. للباشمهندس •

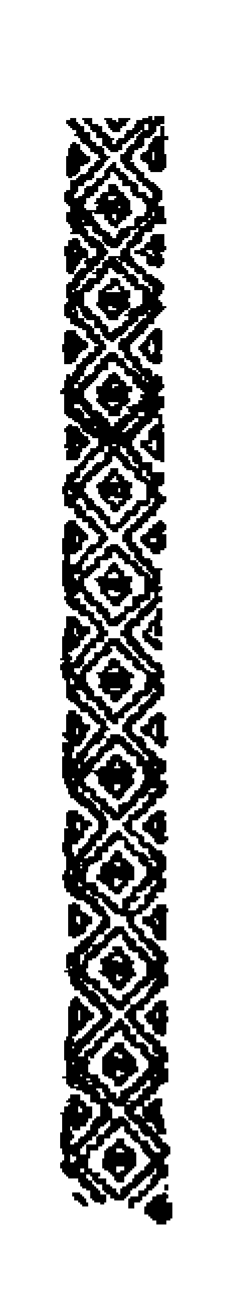
عروسة للباشمهندس





● وفجأة .. تنطلق ((الشرارة)) ويحقق جيش مصر المعجزة فى معارك اكتوبر المجيدة ...

ويموت ((ابن العم)) وهو يؤكد .. :
أن ((مايو)) .. هو صانع ((اكتوبر)) ..
وأنه كان من المستحيل .. أن يأتى ((٦ اكتوبر)) ..
قبل أن تشرق شمس ((١٥ مايو)) ...
و .. يا .. مايو ....
يا حبيبى ...... ●



عــــروسة للباشمهندس

إشترى الأب « كلوباً » جديداً . . إستعداداً لاستقبال إبنه « الباشمهندس » الطالب بالسنة النهائية بكلية الزراعة : : : الذى إعتاد أن يمضى فترة ما قبل الامتحان بالقرية .

كان الأب سعيداً بعودة « الباشمهندس » من القاهرة . . وطلب من زوجته أن تذبح « ذكر » البط السمين إبتهاجاً بهذه المناسبة .

ذبحت الأم « ذكر » البط . ووضعت « الكلوب » فى مدخل الدار .

ووصل « الباشمهندس » إلى القرية : : واستقبل استقبالا حاراً من أمه ومن أبيه . . . تتفق مع « غلاوته » كوحيد لوالديه . . .

وبعد انتهاء الاستقبال الحار خرج « الباشمهندس » . . لتحية أقاربه فى القرية وأصدقائه : : قبل أن يبدأ إعتكافه للتفرغ للمذاكرة لامتحان البكالوريوس . . .

ولايدرى : : : الأب : : : لماذا عادت ذاكرته أربعين عاماً إلى الوراء .

عندما أصرت أمه « جدة » الباشمهندس على أن يكون إبنها البكر شيخاً عالماً مثل أبيها : : الذى كانت تحبه : : وحرمها الموت منه : : قبل أن تبلغ سن الزواج . . ولهذا أدخلته « الأزهر » الشريف : : بعد أن أتم حفظ سور القرآن الكريم على يد « سيدنا » فى « كتاب » القرية .

وظات تزهو به وهو فى زى الأزهر الرسمى . . . « الجبة » و« والعمامة » و« القفطان » وترى فيه صورة مصغرة مشرقة . . من أبيها . . جد « الباشمهندس » الذى كانت تحبه وحرمها الموت منه قبل أن تبلغ سن الزواج .

ولم يمض أكثر من أربعة أعوام فى المرحلة الابتدائية بالأزهر الشريف . . حتى تربص القدر أيضاً بأبيه « الجد » الثانى للباشمهندس :

فاختطفه الموت بعد رحلة مريرة مع المرض . . ابتلعت القراريط العشرين التى كان يملكها أبوه . . .

واختطف معه أيضاً « حلم » الأم الذى عاشت به بأن ترى إبنها البكر شيخاً عالماً مثل أبيها : :

ومات « حلم » الأم . . . مع موت زوجها . .

وانقطعت صلة إبنها البكر . . والد الباشمهندس . . . بالأزهر الشريف . .

وعاد : . إلى القرية . . وهو لم يبلغ السادسة عشر من عمره . . ليستأجر نصف فدان . . من الأرض . . . يزرعه بنفسه : : : حتى يستطيع أن يواصل رسالة أبيه . . فى تربية أخيه الأصغر . . والإنفاق على أمه . . وعلى البيت . . .

كان يصر عند خروجه من البيت . : فى الصباح المبكر . . وهو فى طريقه إلى « الغيط » أن يرتدى « الجبة » و« العمامة » . . و« القفطان » . . وهى كل ما تبقى له من السنوات الأربع المجيدة التى قضاها فى الأزهر الشريف . . .

حتى إذا ما بلغ « الغيط » خلع زى الأزهر الرسمى وركنه بعناية تحت «التعريشة» و ارتدى ملابس الفلاحة . . . وبدأ عمله المضنى فى زراعة نصف الفدان الذى استأجره

وعندما ينتهى عمله فى فلاحة الأرض . . . يغتسل . . . ثم يصلى . . . ركعتين شكراً لله . . . ويخلع عن نفسه ملابس الفلاحة . . . ويعاود إرتداء « الجبة »

و« العمامة » و« القفطان » ليواصل طريقه عائداً إلى البيت . . . ليقبل يدى أمه الطيبة . . . ويشكرها على دعوانها أن تحرسه السماء . . عند كل صلاة . . .

كان لايخرج إلى الشارع . . . إلاّ وهو يزهو بزي الأزهر الرسمى . . . وحتى عندما يطلب منه أهل قريته من الفلاحين أن يشاركهم الجلوس فى المساء على القهوة . . . ليقرأ لهم الأخبار . . . من الجريدة الصباحية اليومية التى يواظب على شرائها . . . ويعلق لهم بطريقته الخاصة على ما يجرى فى طول البلاد وعرضها . . .

أو عندما يؤدى واجباً اجتماعياً . . مما تفرضه التقاليد . . كزيارة مريض أو التعزية فى وفاة . . أو التهنئة فى الأفراح والمسرات . . .

أو . . وهو فى طريقه إلى « دوار» العمدة . . حينما يكلفه أحد المزارعين أن يتوسط لدى « العمدة » فى بعض مشاكل القرية التى لاتنتهى . . .

ورغم أن العمدة . . . وشيخ البلد . . وشيخ « الخفر» . . كلهم كانوا فى سن أبيه المرحوم . . . إلا أنهم جميعاً . . كانوا يحترمونه . . . ويقفون للسلام عليه عندما يهل على مجلسهم . . .

كانوا يقدرون فيه . . . رغم حداثة سنه . . حبه للناس . . والسعى دائماً للخير بينهم وقضاء مصالحهم . . والصلح بين المتخاصمين . . رغم الإرهاق الشديد الذى كان يقاسيه . . . مع حداثة عهده بفلاحة الأرض . . .

كانوا . . لاينادونه إلا « بالشيخ» . . (. . . .)

وكثيراً ما طالبوه أن يرتاح من عناء فلاحة الأرض . . فيداه .. لم تخلق«للعزيق» والحرث والرى . . وتنقية الدودة . . . لأنه ابن مدارس . . .

ويبدو استعدادهم لأن يتولوا جميع نفقاته . . هو . . وأمه . وأخيه الأصغر . حتى يعود إلى الأزهر الشريف . . ويكمل تعليمه فيه . . . ويعود إليهم شيخاً عالماً مثل جده . . .

لكنه كان يصر على ألا تأكل أمه وأخوه . . . إلا من عرق وكد جبينه الغزير : :

وكان أهل القرية يقدرون فيه ترفعه وإباءه .. وحبه للقرية ويتطوعون لمساعدته في فلاحة أرضه . . كلما احتاجت أرضه للمساعدة . . .

ويتمنون اليوم الذى ينهى إبنه « الباشمندس » من دراسته . . حتى يرتاح « الشيخ» من هذا الجهد المضنى الذى يبذله فى فلاحة الأرض .

ورغم إلحاح . . الأم . . على إبنها « الشيخ» أن يتزوج لتفرح به . . وليكمل نصف دينه . . . إلا أنه كان دائماً . . يرفض . .

لأنه قرر ألا يتزوج إلا بعد أن ينتهى شقيقه الأصغر من دراسته فى مدرسة المعلمين

ويوم صدر قرار تعيين شقيقه الأصغر مدرساً بالمدارس الابتدائية « بالبندر»

أسرعت « الأم » لتخطب لأبنها « الشيخ» « بنت» طيبة .. وغلبانه . . ومكافحة ويتيمة الأبوين . . . لتزوجها لإبنها « الشيخ» . . .

ولتصبح هذه . . البنت الطيبة الغلبانة . . المكافحة . . يتيمة الأبوين : : : مع الأيام . . . أم « الباشمهندس » الإبن الوحيد . . فلم يرزقه الله بأحد سواه : : :

وأفاق « الشيخ» من خواطره . . على الضجيج الذى ملأ البيت . . .

وأحلى بنات القرية يساعدن أم الباشمهندس فى نظافة وترتيب حجرته وكل واحدة منهن جاءت . . وكلها أمل أن يسعدها الحظ فتقع . . عينا . . الباشمهندس عليها فيسحره جمالها . . . فتكون من قسمته ونصيبه . . :

وانتهز « الشيخ» الفرصة . :. وبدأ هو أيضاً . . فى ترتيب حقيبة إبنه : : :

أخرج الملابس المتسخة وأعطاها للأم لتغسلها : : :

ثم أخرج الكتب والكشاكيل . . ووضعها فوق « الترابيزة » : : التى سيذاكر عليها الباشمندس .

بعد أن أنهى الأب مهمته . .

وجد فى الحقيبة ورقة . . كانت ملقاة وسط الكتب والكشاكيل . . .

نظر فيها لكى يضعها فى مكانها الصحيح .

لكنه توقف أمامها . . . لحظات .

ووجد نفسه يلتهم السطور التى تسود الورقة . .

لم تكن الورقة تتضمن محاضرة من المحاضرات . . أو شيئاً من هذا القبيل كما توقع الأب .

ولكنها كانت تتضمن . . آخر شيء . . كان يمكن لهذا « الأب » أن يتوقع وجوده فى حقيبة إبنه . . .

لو . . . كانت الورقة تتضمن رسالة عاطفية . . تنبىء عن قصة حب ملتهبة يعيشها إبنه . . . لما أغضبه هذا . . .

ولأعاد الورقة إلى مكانها بين الكتب والكشاكيل . . . دون أن يشعر إبنه أنه عرف شيئاً عن قصة حبه . . ولشعر بسعادة أن إبنه قد نضجت عواطفه وأصبحت تبحث عن المجرى الذى تنساب فيه هذه العواطف الجياشة . . .

ولأنه . . رغم أنه أزهرى . . وريفى . . فهو يؤمن بالعاطفة الإنسانية . . . كأروع صور الإيمان . . .

ويؤمن أيضاً . . . أن التربية السليمة تفرض عليه . . أن يزرع الثقة بالنفس فى جذور إبنه . . بأن يمنحه المزيد من الثقة . . . ويحترم مشاعره . . ولايقحم نفسه فى خصوصياته . .

ولايذكر يوماً . . . أن ساعى البريد سلمه رسالة باسم إبنه . . . إلا وسلم لإبنه هذه الرسالة . . دون أن يعطى لنفسه الحق فى أن يفض غلاف الرسالة ويطلع على ما فيها . . .

إنه يعتبر ... التلصص على خصوصيات الناس . . حتى خصوصيات أقرب الناس إلى نفسه ... إبنه . . جريمة . . . لاتختلف عن جريمة « هتك » العرض . . .

وأخضع الشيخ نفسه . . . للوم شديد . . . كيف تجرأت على أن تستمر فى التهام سطور هذه الورقة . . . فى غيبة إبنه . . . ؟؟

ولم يرحم نفسه من اللوم . . .

إلا بعد أن أقنعها بأن « القدر » . . . لحكمة يريدها . . . هو الذى أوقع هذه الورقة . . . ليقرأها الأب . . .

لأن القدر ... لحكمة يريدها . . . يرى ضرورة أن يطلع الأب . . . على سر من أحظى الأسرار فى حياة إبنه . . .

كانت الورقة تتضمن تقريراً كتبه الإبن يستعرض فيه أدلته على الموقف المعارض « للتنظيم » الذى يتخذه « ابن عمه » الطالب بكلية الهندسة وكان « التقرير » يتضمن أيضاً . . عرضاً لآراء « ابن العم » التى تمثل فى نظر الإبن خروجاً صارخاً عن خط « الإلتزام » التنظيمى الواجب .

ولم يستطع « الشيخ » أن يتحمل مفاجأة هذا الاكتشاف المثير ...

سقط «الشيخ» بجوار « الترابيزة » ...التى أعدت ... لكى يذاكر عليها الباشمهندس وجاءت الأم مذعورة تولول وتسأل عما حدث . . .

لم ينطق الأب ... كل ما استطاعت شفتاه أن تنطقا به فى هذه اللحظات هو طلب للأم بأن تعد له قليلا من القهوة . .

وجلس الأب ساكناً ... يفكر . .

كيف يمكن أن يحدث هذا . . . ؟

وما هو هذا « الالتزام » الذى يبيح للأخ أن يكتب تقريراً فى أخيه . . . وابن عمه ؟

كيف يرتضى رؤساء هذا « التنظيم » مثل هذه « التقارير» التى يكتبها « الأخ» فى « أخيه » ؟ ؟ .

وكيف يمكن لهذا الإبن . . وهو من (صلبه) أن يفعل مثل هذا الشىء المروع .؟

لقد كانت الشهادة الجامعية هى (حلم » الأب الكبير . . الذى لم تحققه له الأيام . . . وغدر الأيام . . .

وحينما وسع الله عليه . . وقام الإصلاح الزراعى بتمليكه ثلاثة فدادين . . .

أدخل إبنه الوحيد كلية الزراعة بالجامعة . . . وكان يرى فى إبنه « الباشمهندس» صورة أحلامه . . وقد تحققت كلها . . .

ويعلم الله . . . كيف كان يحرم نفسه . . ويحرم زوجته حتى من « جلباب» «كستور» رخيص فى الشتاء . . حتى يوفر لإبنه مصاريف الدراسة . . ومصاريف الإقامة المريحة فى المدينة . . .

وكل شىء يهون فى سبيل تحقيق حلم « الشيخ» حينما يرى إبنه يحمل شهادة بكالوريوس الزراعة . . . ويعود إلى قريته . . يعمل فى جمعيتها الزراعية وفى الجمعيات المجاورة . . . بدلا من هؤلاء الغرباء الذين يتلاعبون فى حساباتها . . . ويستغلون حاجة الفلاح إلى المبيدات . . عندما تهاجم الآفات حقله . . . ويتعالون على صغار المزارعين ويتعاملون معهم . . وكأنهم الورثة الجدد للسادة الإقطاعيين الذين ولى زمانهم . . .

كما يخلفه فى التوفيق بين العمدة وأهل القرية . . وفى الصلح بين المتخاصمين وحل المشكلات التى تسببها المياه والرى .

وأفاق الرجل من خواطره التي عاودته من جديد . . . ليحس أن أحلامه كلها فى ابنه « الباشمهندس » . . قد تبخرت . .

« فالالتزام » التنظيمي . . الذى قتل فيه أسمى المعانى . . . وأرفع صفات الإنسان . . الوفاء . . . وزين له طعن ابن عمه . . .

لن يبقى فيه ذرة من « وفاء » . . . لأبناء قريته . . .

سيغدر بهم . . كما غدر بابن عمه . . .

واللى مالوش خير فى أهله .

مالوش خير فى بلده . . .

وتعجب . . . كيف يسمح « محراب » الجامعة المقدس . . . بأن « تتسلل » إليه مثل هذه « التنظيمات » التى تهدم كل ما هو طيب ونبيل فى أبنائها . .

وتحسر على الأزهر والجامعة وما أنجباه من أبناء عظام : أمثال مصطفى كامل ، محمد فريد ، سعد زغلول ، عبدالعزيز فهمى ، مصطفى النحاس ، مصطفى عبدالرازق قاسم أمين ، مصطفى مشرفة ، عبد الرزاق السنهورى ، طه حسين . . .

فى آخر الليل . . . عاد « الباشمهندس » . .

وحدثت المواجهة . . . بعد أن أغلق الأب . . باب الحجرة !

لقد عشت يابنى مع والدتك . . ثلاثين عاماً . . بحلوها ومرها . .

وكانت هذه السيدة . . نموذجاً . . للخلق . . والشرف طوال هذه السنوات ..

لم أشك يوماً فى إخلاصها . . ووفائها . . وشرفها كزوجة « وكأم » . .

واليوم . . واليوم فقط . . إنتابنى الشك فى كل شىء . .

أشعر أن هذه المرأة . . لم تلدك من صلبى . . .

أدهشت « الباشمهندس كلمات أبيه . . . فصاح غاضباً مستنكراً !

كلام إيه .. اللى بتقوله « يابا » الشيخ . . ؟ :

ولأول مرة يرتفع صوت الشيخ غاضباً فى لهجة آمرة . . .

إسمع . . ياولد . . .

أنا لاأتصور أننى « أنجب » . . . ولداً . . من صلبى . . يكتب تقريراً فى حق « ابن عمه » . . .

ولهذا . . . صعب على جداً . . أن أتصور أنك ابنى . . ومن « دمى » . . .

وفى كلمات هزيلة . . ومتداعية حاول الإبن أن يقدم « تبريراً » لموقفه . . .

لكن الأب إختتم المواجهة فى كلمات حاسمة . . . طلب فيها من الإبن :

أن ينهى . . وإلى الأبد . . . علاقاته « التنظيمية » التى أدت إلى إرتكابه مثل هذه السقطة . . .

واختتم الأب كلماته . . .

بأن أكد للإبن أنه سيكون مضطراً « لتطليق » زوجته . . وإنهاء العلاقة بينه من ناحية . . وزوجته وإبنه من ناحية أخرى . .

وفى الحقيقة . . .

فان « الباشمهندس » فوجىء : : بكل هذه الأحداث . . ودافع عن نفسه دفاعاً حاراً . : مردداً على مسمع أبيه الشيخ . . . كافة « التبريرات » التى « تبيح » له أن يكتب « التقارير » فى أى إنسان يشعر أنه يضمر « معارضة » لخط « التنظيم » . . .

لكن الأب الذى أمضى ٤ سنوات فى دراسته الأزهرية : : إستطاع بعبارات بسيطة وموجزة : : أن ينتزع من الإبن « إعترافاً » بلا « أخلاقية » مثل هذه التقارير أيا : : كانت مبرراتها . . :

كما استطاع أن ينتزع من الإبن « عهداً » بانهاء كل ما يربطه بهذا « التنظيم » : : الذى أدى به إلى « إرتكاب » مثل هذه « السقطة » الفاحشة . :

ويعود « الباشمهندس » إلى الكلية . . بعد إنهاء فترة اعتكافه فى القرية . . . يستعد فيها لامتحان البكالوريوس . . .

وكان طبيعياً بعد كل ما حدث أن : يمتنع عن كتابة « التقارير » وحضور الاجتماعات . . . ويقطع كل صلة له بهذا « التنظيم » الذى « فلسف » له أن كتابة التقرير . . . فى حق أقرب المقربين إليه والذين يرتبط بهم برباط الدم . . . قمة الولاء « لمصالح » جماهير الشعب . . .

وبعد أن « أيقظه » منطق أبيه البسيط . . . من جرعات « الغيبوبة » الفكرية التى شربها من رؤسائه فى التنظيم . . .

واقتنع تماماً . .

أن الذين « يمزقون » الروابط الأسرية . . . أقدس الروابط . . مستحيل أن يكونوا « غيورين » على « مصالح » جماهير الشعب العريضة . . . وعلى مصالح الوطن العليا . . .

لأن الوطن هو كل أبناء هذا الوطن . .

ويوم « يتمزق » الأبناء . . . ينهار الوطن . . .

ويوم تتحلل الروابط الأسرية . . فقل على « الوطن » السلام . . .

واللى مالوش خير . . فى أهله . . .

مالوش خير . . فى بلده . . .

وكان طبيعياً . . . أن يسألوه عن سبب الإمتناع . . .

فأخذ يتهرب من اللقاء بهم . . . وينتحل شتى المعاذير . . .

ما الذى غيره . . . ؟ وقتل حماسه ؟

كيف يتركونه ؟ وقد أصبح يعرف الكثير من « أسرار » . . . « وتكتيكات » . . « واستراتيجية » الجماعة . . . ؟

هذا « الولد » . . لابد أنه أصيب بالجنون . . .

إنه بعد أيام . . . سيتخرج من الجامعة . . .

وحاجته إلى علاقاته « التنظيمية » شديدة . . وماسة وحيوية من أجل تدعيم مستقبله . . . و« تصعيده » . . فى الوظائف العامة .

وما يتبع ذلك من امتيازات . . . وفوائد جمة . . . والطريق أمامه مفتوح لأن يقفز . . أكثر . . و« يتصعد » أكثر . . . ويجنى « إمتيازات » أكثر . . كلما أثبت « ولاءه » التنظيمى . . . ؟

واستدعاه مسئول تنظيمى كبير . . .

فى البداية . . . استقبله بترحاب شديد . . . وذكره بخدماته الماضية للتنظيم الذى تهدف خدمة مصالح جماهير الشعب العريضة . . .

وأفهمه أنه يعتبر من « الطلائع » التى يعتمد عليها . . . والتى من المستحيل « التفريط » فيها . .

وحدثه . . . عن مستقبله . . والطريق المفتوح أمامه لتدعيم هذا المستقبل : : وتصعيده فى الوظائف العامة . . وما تتبع ذلك من فوائد . . وامتيازات جمة . :

واستمر المسئول التنظيمى الكبير . . فى مواصلة حديثه . . بأسلوب لم يعد خافياً على أحد . . .

« إغراء » . . . « ترغيب » . . .

« تهديد » . . . و« وعيد » . . .

واعترف الباشمهندس بالقصة كاملة . . .

ويتم الاتصال الفورى بالوالد . . لكى يرفع « إرهابه » الأبوى عن « الباشمهندس » ويسمح له بممارسة نشاطه . . . « التنظيمى » . . .

و . . إلا . . .

ولأن الأب : : فلاح وأزهرى . . . وذو « مخ » صلب . . . فقد رفض « التهديد » فى محاولة إقناعه . . .

وأمام هذا الموقف المتعنت من الأب . . كان من الضرورى . . إتخاذ عدة إجراءات لردعه . . تمت بشكل متتابع . . .

قبل أيام من إمتحان البكالوريوس : : إختطفت أشباح «التنظيم» « الباشمهندس » وبعد أن احتجزوه « رهينة » ووسيلة عملية لإقناع « الأب » . . .

بعثوا إلى الأب من يساومه : : . لكى يكف عن « إرهابه » الأبوى . . حرصاً على مستقبل إبنه . . .

ولأن الأب لايريد . . أن يتخلى عن « أزهريته » و« ريفيته » . . و« مخه » الصلب . . فقد « رفض » مبدأ المساومة . . .

وقال لمن جاء يساومه . . . !

إنه لشرف لى ولإبنى : : : أن يكون إبنى واحداً عادياً . . بسيطاً وشريفاً : : : من عمال التراحيل : : الذين لايجدون المأوى . . ويكدحون الليل والنهار : : : ويذيبون أعمارهم فى مقابل كسرة من الخبز صغيرة . . .

عن أن يكون إبنه . . رئيس وزراء . . إرتفع على . . أشلاء . . وجثث : . وجماجم الناس : : والغدر حتى بأقرب المقربين إليه . . .

واستفزتهم كلمات الأب : الفلاح الأزهرى ذى « المخ » الصلب . . .

وقرروا : : أن يحطموا هذا « المخ » الصلب . . .

وفى سبيل تحطيم هذا المخ الصلب . . .

. نزعوا من الأب ملكية . . الأفدنة الثلاث . . التي سبق أن وزعها عليه الإصلاح الزراعي . . .

أصدروا قراراً « بعزله » سياسياً . . « وحرمانه » من كافة نشاطاته وأهمها : عضوية الجمعية التعاونية الزراعية . . في القرية . . .

. وثمة إجراء بسيط آخر . . أختتمت به . . هذه . . الإجراءات «الوقائية» . . حتى لاتسرى عدواه . . إلى بقية الآباء . .

تمثل هذا الإجراء « الوقائي » في صدور أمر « باعتقال » هذا الأب . . .

وهكذا وجد « الشيخ » نفسه . . في أيدى الجلادين . . يحاسب على موقفه من إبنه . . .

ويتأمل القصة منذ بدايتها المدهشة . . حتى نهايتها المأساوية . . مرات . . ومرات

ورغم صعوبة الحياة . . في ظلام « الزنزانة » فان « الشيخ » لم يشعر . . ولو للحظة واحدة . . أنه ارتكب . . خطأ . . .

كان يشعر أن مسئوليته «كأب» . . . و«كانسان» . . . و«كمواطن» . . كانت تحتم عليه أن يفعل نفس . . مافعل . . .

ولم يستطع « الشيخ » رغم كل العذاب . . أن يتخلى عن موقفه . .

وكان يشعر دائماً . . . أن « الرب » لن يتخلى عنه . . .

وصحت توقعات « الشيخ » . . .

فكما « فوجيء » بهم . . يقذفون به . . وهو وابنه « الباشمهندس » داخل « زنزانة » مظلمة لمدة ثلاث سنوات . . .

فوجيء الأب . . أيضاً . . بشمس الحرية . . تسطع في حياته من جديد . . .

عندما أفرجوا عنه . . هو وإبنه . . . ذات صباح في أعقاب ١٥ مايو ١٩٧١ . .

بعد أن سقط كل المسئولين عن قيادة هذا التنظيم . . .

وترتفع « زغاريد » الأم . . . إلى عنان السماء . .

وهى تستقبل رجلها . . . وابنها « الباشمهندس . . .

بعد غياب وراء الشمس طوال سنوات ثلاث . . .

ومن حول الأم . . .

وقفت أحلى بنات القرية . . .

يشتركن فى عاصفة « الزغاريد » . . .

وكل واحدة منهن جاءت . . . وكلها أمل . . .

أن يسعدها « الحظ » فتقع . . عينا « الباشمهندس عليها . .

فيسحره جمالها . . . وفتنتها . . وأنوثتها . . .

فتكون من « قسمته » و« نصيبه » . . .

وتصبح « عروسة » للباشمهندس . . .

أمل القرية . . . وكل القرى المجاورة . . .

وفجأة يصدر قرار العبور العظيم . . وتنطلق الشرارة» ويحقق جيش مصر معجزة العبور فى معارك أكتوبر المجيدة . . .

• ويحاول العدو الإسرائيلى إحراز نصر دعائى . . فيهاجم مدينة السويس ويحاصرها ويتحول « الأب » الفلاح الأزهرى المصرى البسيط . .

ومن حوله إبنه وابن أخيه وكل البسطاء من أبناء وبنات القرية . .

إلى كتائب للمقاومة الشعبية التى تحقق بطولات خارقة . . وتكبد العدو . . خسائر فادحة . . .

ويموت « ابن العم » . . وهو يؤكد .

أن « مايو » هو صانع « أكتوبر » .

وأنه كان من المستحيل أن يأتى . . « ٦ أكتوبر » . . .

قبل . . أن يشرق شمس . . « ١٥ مايو » . . .

و . . يا . . مايو . . .

يا حبيبى . . .

فهرس الكتاب

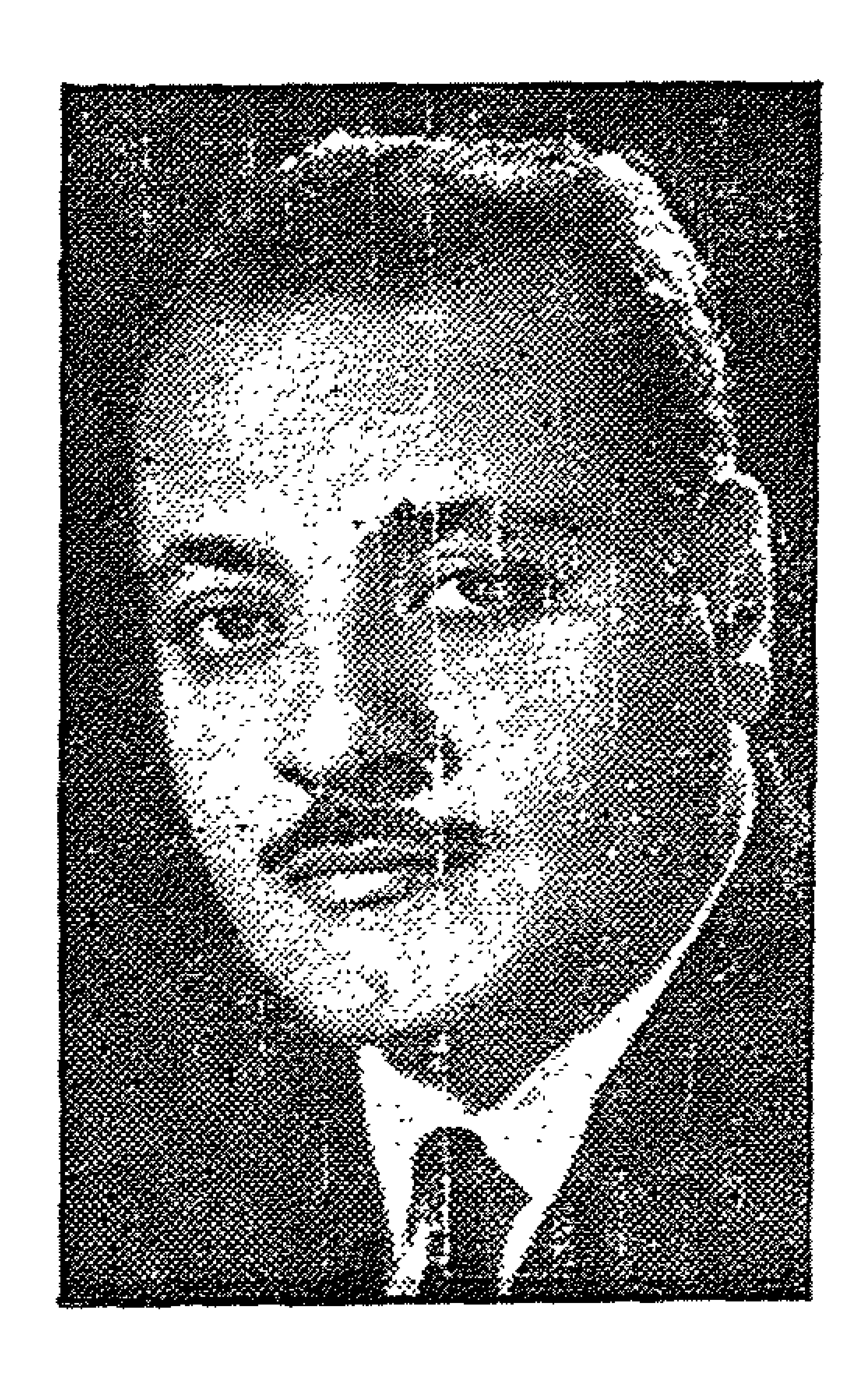
صفحة

طبع بمطابع

دار
الشعب

٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة
تليفون ٣١٨١٠

رقم الايداع ١٩٧٤/٥٠٨٢



تسع سنوات طوال

عشت فيها مع ((ابطال)) هذه ((الصور)) حياة .. كاملة ....

وهؤلاء ((الأبطال)) شاركونى ((الحياة)) .. داخل اكثر من ((زنزانة)) ...

وكانو يتحركون .. داخل وخارج ((الزنازين)) فى حياة ((مليئة)) بأشياء .. واشياء .. وليس بينهم ((بطل)) واحد من ((صنع)) أو نسج ((الخيال)) ...

((فجميعهم)) .. جميعهم .. من دم .. و ((لحم)) .

((كثيرون منهم)) .. لازالوا .. على قيد الحياة .. ((يعيشون)) بيننا ((وبعضهم)) .. لازالت .. تلفه .. ظلمات ((الزنازين)) ....

ومجمـــوعة منهم ... توارت .. أو قتلت .. .. أو انتحرت .. أو استشهدت ...

وآخرون .. فقدوا عقولهم .. واصيبوا بالجنون.. أو ماتوا .. وقبـورهم ((تتوجع)) ... من سـيل ((لعنات)) المظلومين ..

انور زعلوك

الثمن ٢٥ قرشا

دار الشعب

